

العنوان :

البرجماتية عند

وليم جيمس

مذكرة مكسلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

خوني ضيف الله

إعداد الطالبة:

غداة زينب

السنة الجامعية: 2017/2016

## إلى من علمني العطاء دون انتظار...

إلى من علمني العطاء دون انتظار... إلى من أحمل اسمه بكل اقتنار... أرجوا من الله أن يمد في عمرك لثري ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار

وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد...

والذي العزير "غداة عبد الحميد"

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني... إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها

بلسم جراحي إلى أغلى الحباب أمي الحبيبة "بوقرة فوزية"

إلى أخي الذي أرى التفاؤل بعينه والسعادة في ضحكته وفي نهاية مشوارمي أريد أن أشكرك على تطلعائك لنجاحي بظنرات الأمل

أخي "الصديق"

إلى من مراقبتي منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعا سرنا الدرب خطوة خطوة وما تزال تراقبني إلى الآن... إلى شمعة تير ظلمة حياتي

أختي صبرينة

إلى مراحين حياتي أختوتي الصغار: آية، مهدي، خلاف.

إلى من ساندني وشجعني رفيق دربي ابن عمي إسماعيل

إلى من كنت أريدها أن تكون إلى جانبي في هاته اللحظة مفتخرة بي وفرحة لما أقدمه "جدتي مرحها الله بلعباس العليجة"

إلى عاتقي وأخص بالذكر عماتي المتميزين بالوفاء والعطاء ومن من سعدت معهن: سعاد، نوال، زريدة، ومردة، فورة "مرحها الله"

إلى أعمامي: عمر، سليم، أتمن لهما التوفيق في حياتهما

إلى الأخوات وبنات الصدق الصابغ إلى من سرت معهن في درب الحياة الحلوة والمخرجة إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير صديقاتي

## غداة زرينب

# شكراً وتقديراً

كن عالماً... فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.  
بعد رحلة بحث واجتهاد قمت بانجاز هذا البحث، أحمد الله عز وجل على نعمه التي أنعمنا بها فهو العلي القدي، مهما  
تقدمنا وفتحت أمامنا الطرق ووصلنا لكل ما نلحم به، علينا أن نتذكر من كانوا سبباً بنجاحنا وحفزنا وشجعنا، لها أقدام  
أسمى عبارات الشكر والتقدير للدكتور "ضيف الله الخوني" لتفضله بالإشراف على مذكري ولما قدمه لي من  
نصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث أحاطني بتوجيهاته فستقيت من بحار علمه  
كل الشكر والتقدير إلى من اهتم بأن أكمل دراستي وساعدني في مشواري الدراسي إلى  
قدوتي من علمني أن أصمد أمام أمواج البحر الثائرة  
وشكراً على عطائك الدائم أطال الله في عمرك وجزاك كل خير  
عمي "غداة سليمان"  
البحث بحثي لكن لولا وجود تحفيزات المقدمة من طرف الأساتذة لما أحسست بمتعة العمل وحلاوة البحث ولما وصلت  
إلى ما وصلت إليه فلهم مني كل الشكر... جزاكم الله كل خير



مقدمة

مقدمة

يعيش العالم في القرن الحالي تقدما ملحوظا في مجال الفكر المادي، وهذا الفكر هو امتداد لما كان عليه في القرن الماضي، حيث ظهرت فلسفات عديدة وكان على رأس هذه الفلسفات الفلسفة البرجماتية وتعتبر هذه الفلسفة من أهم الفلسفات التي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحالي، وتختلف هذه الفلسفة عن غيرها في نظرها إلى الحقيقة، حيث تكمن جوهر الحقيقة لديها في استعمالها كمرشد للأعمال، ويتم ذلك من خلال نتائج هذه الفلسفة العلمية والتجريبية، وإن السعي وراء معرفة الحقيقة والمعرفة محور نشاطات الإنسان المختلفة، وتعتبر الفلسفة البرجماتية من الفلسفات المهمة لأنها عبرت عن واقع المجتمع الأمريكي وعن مدى نجاح أفرادها في التكيف مع الواقع الذي يعيشونه، وكان لهذه الفلسفة رواد أمثال: تشارلز بيرس، ووليم جيمس، وجون ديوي.

وللفلسفة البرجماتية عدة إطلاقات هي الفلسفة العملية، أو النفعية أو الإجرائية، أو الأدائية، أو الوظيفية، أو التجريبية وتؤمن هذه الفلسفة بالأسلوب العملي وتطبيقه، والعقل يستطيع حل المشكلات من خلال استخدام التجريب، والطرق العلمية السليمة.

فقد ظهرت الفلسفة على يد الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس وعرفت بشكل واسع على يد الفيلسوف وليم جيمس الذي اعتمد عليه في بحثي هذا، فقد ربطت هذه الفلسفة بين الفكر والعمل، ونادت بالقول أن قيمة أي فكرة تكمن في فائدتها العملية والجديد في هذا المبدأ هو وضع الفائدة العملية في المقام الأول.

يرتبط اسم وليم جيمس بالمذهب البرجماتي وهو مذهب كثيرا ما لاكته الألسن وكثيرا ما أسيء فهمه، واستخدم استخداما شعبيا بغياضا.

وهدف من هذا البحث إبراز هذا المذهب الذي نادى به جيمس على حقيقته فهو له مذهب له قيمته بين المذاهب الفلسفية إنه منهج فلسفي مستقل يسميه أصحابه المنهج البرجماتي، وله رأيه في المناهج الفلسفية وإنه نظرية مستقلة يسميها أصحابها النظرية البرجماتية في الصدق، وإنها كذلك ميتافيزيقية وأخرى خلقية ودينية، فالمذهب البرجماتي إذن

مذهب فلسفي منسق، إن المذهب البرجماتي عند جيمس وجهة نظر شاملة يفسر في ضوءها الإنسان حيث هو منهج ونظرية معرفية وميتافيزيقية وخلقية ودينية ولم يرض جيمس أن يكون له مذهب فلسفي بمعنى ذلك البناء الشامخ الذي يقيمه الفيلسوف مترابط الأجزاء متشابك التفاصيل ذلك الترابط المنطقي والتشابك الضروري، فقد رأى جيمس أن المنطق ليس ضروريا دائما وفي كل شيء فليس هو كل شيء في طبيعة الإنسان، إذ للإنسان إدراك ووجدان وإرادة وليس إدراكا فحسب.

رغم جدة وأصالة مذهب وليم جيمس البرجماتي إلا أنه يوجد الكثير ما قال بعكس ذلك لهذا فبالرغم من إدعاء الكثيرون على أن البرجماتية مذهب غير متسق بعكس ما قدمه جيمس من نظريات وآراء شاملة يفسر بها الإنسان وانطلاقا من هنا يمكن طرح التساؤلات إلى أي مدى وفق جيمس في طرح آراءه حول البرجماتية؟ وما أوجه نقد الفلسفة البرجماتية بصفة عامة وبرجماتية وليم جيمس بصفة خاصة؟

أما بالنسبة لأسباب اختياري الموضوع هذا هو حب الاطلاع عليه وإلى أين وصل في امتداداته وبالرغم على أنه يوجد بعض صعوبات في المصدر لجيمس فقد التمتت بعض العبارات فيه لم تكن مترجمة ومفهومة وواضحة فقد سببت لي الابتعاد عن بعض الاقتباسات منه، أما المنهج الذي اعتمدت عليه هو المنهج التحليلي بحيث هو أفضل منهج لطبيعة هذه الدراسة

ومن هذا المنطلق سيكون بحثي مقسما مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فقد بينت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياري له.

ففي الفصل الأول بعنوان البرجماتية يحتوي على خمسة مباحث المتمثلة في مفهوم البرجماتية، وأهم السمات التي تجمع بين البرجماتيين، وأنماط البرجماتية وأسس وقواعد المذهب البرجماتي والمبحث الأخير عن أهم أفكار البرجماتية.

أما بالنسبة للفصل الثاني يحتوي أيضا على خمسة مباحث فالمبحث الأول يتحدث عن فلسفة جيمس والثاني عن الحقيقة عند جيمس أما الثالث فيتحدث عن التجريبية الاصلية أما

بالنسبة للمبشرين الأخيرين يتحدثان عن الأخلاق والدين، أما الفصل الثالث وهو الأخير فقد تحدثت فيه عن البرجماتية في الوقت الحالي وأهم الانتقادات الموجهة للمذهب البرجماتي بحيث يحتوي نفس الشيء عن خمسة مباحث: البرجماتية في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر والبرجماتية والفلسفة الأوروبية المعاصرة والمبحث الثالث فيه نقد المذهب البرجماتي من المنظور الفلسفي أما الرابع نقد المذهب البرجماتي من المنظور الديني وأخيرا أهم الانتقادات الموجهة لفلسفة جيمس البرجماتية ثم اختتم بخاتمة تحوي ملخصا للبحث والنتائج التي تم التوصل إليها ثم أنهى بحثي بفهرس للموضوعات.



## البرجماتية

### المباحث :

❖ مفهوم البرجماتية وأصولها

❖ السمات التي تميز بين

### البرجمائين

❖ أنماط البرجماتية

❖ أسس وقواعد المذهب البرجمائي

❖ أهم أفكار البرجماتية

## تمهيد :

نشأت الفلسفة البرجماتية في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولقد كان للظروف المجتمعية التي سادت المجتمع الأمريكي في بدايات الهجرات الخارجية إلى أمريكا عقب اكتشافها اثر كبير في تكوين المبادئ الرئيسية للفلسفة البرجماتية لذا ، فان هذه الفلسفة أصبحت تعبيراً صادقاً عن المجتمع الأمريكي للاتصال الوثيق بظروف المجتمع من ناحية ، و لانبثاق المبادئ المشار إليها من تلك الظروف المجتمعية التي سادت المجتمع في أعقاب الهجرات الأولى بعد اكتشافه من ناحية أخرى ، و لقد ورثت الأجيال المتعاقبة من المهاجرين عن الرواد الأوائل ممن سبقوهم الجرأة و الإقدام ، و الاعتماد على النفس ، و الرغبة في الكشف و المغامرة ، و احترام العمل اليدوي في كسب المعاش ، و الاعتماد على النجاح المادي الملموس كميّار للحكم على صحة السبل المطبقة ، و هذه الصفة الأخيرة تعد جوهر الفلسفة البرجماتية .

و انطلاقاً من مفهوم البرجماتية بعد البحث في هذا المصطلح عن معناها و أصولها يمكن طرح التساؤلات التالية :

ما مفهوم البرجماتية ؟ و ما هي أنماطها و أسسها التي تقوم عليها ؟ و فيما تتمثل أهم أفكار البرجماتية ؟

المبحث الأول: مفهوم البرجماتية وأصولها.

1- البرجماتية لغة: البرجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني (Pragma)، ومعناه العمل<sup>1</sup>.

2- اصطلاحاً: عرفها المعجم الفلسفي بأنها مذهب يرى أن معيار صدق الآراء و الأفكار وإنما هو في قيمة عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة.

والبرجماتية في اللغة الفرنسية (Pragmatique)، والإنجليزية (Pragmaticale) بوجه عام وصف لكل ما هدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة<sup>2</sup>.

3- مفهوم الفلسفة البرجماتية: هي امتداد للفلسفات العلمية الحديثة التي ظهرت على وجه الخصوص في القرنين 17 و18 والتي مثلها على وجه الخصوص كل من لوك وبيكون وجاليلي وحاسندي وغيرهم، إلا أن هذه الفلسفة تختلف عن تلك الفلسفات القديمة لكونها أكثر تطرقاً حيث أصبح المنهج العلمي عندها تؤكد على المستقبل، وجعلت اتجاهها الفلسفي يقوم على ربط معارفنا بعالم الخبرة أو التجربة لا من حيث المصدر أو النشأة وإنما من حيث النتائج أو الغايات<sup>3</sup>.

كان " بيرس تشارلز\*" أول من استخدم كلمة "برجماتية" ولأول مرة في مقال كتبه عام 1878 بعنوان (كيف نوضح أفكارنا) حيث يقول "إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من أثر عملية لا أكثر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1982، ص203.

<sup>2</sup> - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية القاهرة، 1989، ص32.

<sup>3</sup> - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط5، مصر، 1919، ص425.

\*- تشارلز بيرس: **Charlas Senders pierce (1839-1914)** هو المؤسس الأول ورائد البرجماتية وأكثر قطب من أقطابها عمقا في مفهومها، إلا انه أقل واحد فيهم شهرة، من مؤلفاته لم تنشر إلا بعد فترة طويلة بعد وفاته.

<sup>4</sup> - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص444.

وهذا القول يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها هو العمل المنتج لا الحكم العقلي.

ثم إن المذهب البرجماتي نسي وأهمل إلى أن أحياه "جيمس" عام 1898<sup>1</sup> وأضاف عليه ونشره على الناس في مؤلفاته حتى أصبحت "البرغماتية" لفظة تتردد في الأوساط الثقافية في كل مكان في العالم.<sup>2</sup>

وأصبح مذهب تشارلز بيرس وما أدخله عليه "وليم جيمس" وما أضاف عليه "جون ديوي" من أشهر الحركات الفلسفية في هذا العصر.<sup>3</sup>

رغم اختلاف هؤلاء الفلاسفة (بيرس، جيمس، ديوي) من زوايا متعددة وجهات نظر مختلفة، فإننا نجدهم يتفقون حول مبدأ واحد متمثل في العمل.<sup>4</sup>

بمعنى أن الفلسفة البرغماتية عملية بالدرجة الأولى تؤمن بالواقع العملي الفعلي وتهتم بالنتائج التي يقدمها العمل.

أما بالنسبة إلى أصولها فترجع جذور هذه الفلسفة إلى العصر اليوناني حيث نجد أن "أبيقور" Epicures كان أول من أثار مشكلة الحقيقة حيث ربطها بنتائج العملية، فكل ما يحقق للإنسان لذة يعتبر حقيقي، أما الألم فهو يكشف على وجود أفكار غير صادقة وغير حقيقية، لأنه ينعكس سلبيا على حياة الإنسان.<sup>5</sup>

نجد هنا أن أنيقور مساهمته كبيرة تحقق وظيفة عملية عن تخفيف الآلام للوصول إلى أقصى درجات اللذة.

<sup>1</sup> - إمام عبد الفتاح إمام، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2010، ص 468.

<sup>2</sup> - نجيب محفوظ وأحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 162-163.

<sup>3</sup> - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 418، 417.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 425.

<sup>5</sup> - أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر العربي، جون ديوي، ط2، دار المعارف، 1968 مصر، دت، ص 110.

وهناك أصول أخرى لدى أغسطين ودانز سكوت وبيكون وجاليلو، فقد ترك أوغسطين وسكوت تأثيرها الديني، بينما أثر بيكون في مجال نظرية المعرفة ودور الملاحظة فيها، ورفض جميع صور المذهب العقلي، وأكد على أن المعرفة قوة، بينما أثر جاليلو في مجال العلم والمنهج العلمي<sup>1</sup>.

بعد معرفة مفهوم البرجماتية والعودة إلى أصولها فيما تتمثل السمات التي تجمع بين البرغماتيين يا ترى؟

### المبحث الثاني: السمات التي تجمع بين البرغماتيين:

وأهم السمات المشتركة بين الفلاسفة والبرجماتيين، وهم أصحاب الطابع العملي، هي<sup>2</sup>:

1- الفيلسوف البرجماتي يعرض على التصورات المجردة، والأفكار المسبقة والخواوية التي ليس لها أي علاقة بالواقع الخارجي، كما أنه ثورة على الأنساق الفلسفية المغلقة، وعلى الحلول اللفظية لأي مشكلة فلسفية<sup>3</sup>.

فالفيلسوف يبتعد عن كل هذه الأمور وما يمكن أن يوجز بأن كل ما يهتم به الفيلسوف البرجماتي أنه يهتم بالنتائج.

2- يتجه الفيلسوف البرجماتي مباشرة إلى دراسة ما هو متعين مشخص Concerte، وحقوقي Real، أي ما يكون متجها مباشرة إلى دراسة الوقائع Faets، وإلى الفعل الذي يتناول تلك النتائج، من أجل اتباع طريقة تساعد على تحقيق الأفكار والمعاني بأسلوب ناجح في الواقع الخارجي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، اسكندرية، ص 78.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 75.

<sup>3</sup> - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 425.

<sup>4</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص 75.

فالفيلسوف البرجماتي لا يهدف إلى الكشف عن حقيقة ثابتة و يقينية وإنما يهدف إلى دراسة طريقة يستطيع بها أن يفوق بين الأفكار الصادقة التي تتجسد في الواقع بالأفكار الفارغة التي تقدم شيئاً ملموساً لنا عن حياتنا.

3- تتميز الفلسفة البرجماتية بصفة أساسية بحرية التفكير والتعبير لأن الفيلسوف البرجماتي يشك في كل الأفكار وبالتالي يفتح المجال واسعاً أمام ذهنه وعقله من أجل البحث والدراسة والكشف<sup>1</sup>.

الفيلسوف البرجماتي لا يقر بوجود حقيقة مطلقة أو بفكرة تعيينية مطلقة كل ما هناك أن هذه الفكرة اليوم هي بتقنية يمكن بعد فترة من الزمن أن تتغير لذلك البرجماتي هو الفيلسوف حر منفتح الذهن.

وفي هذا المجال يمكننا أن نحدد أهم مميزات الفلسفة البرجماتية في النقاط التالية:

1- هي فلسفة تنور على العقل، أي أنها غير مؤسسة على أفكار وتصورات مسبقة وثابتة من شأنها أن تنتبأ بما سيكون مستقبلاً.

2- هي فلسفة مفتوحة، لأنها تؤمن بالتغير والتطور والنمو.

3- كما أنها فلسفة تؤكد على التجربة الإنسانية وتحرص على الاهتمام بالجزئيات بدل الكليات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- صلاح قنصوة، نظرية القيمة في الفكر المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1960، ص115.

<sup>2</sup>- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 115.

المبحث الثالث: أنماط البرجماتية

على الرغم من اتفاق البرجمائين حول ارتباط صحة الفكرة بنتائجها المرضية أو بنجاحها عمليا حل المشكلات، إلا أنهم اختلفوا في فروع كثيرة<sup>1</sup> مما أدى إلى ظهور عدة أنماط المتمثلة في:

1- البرغماتية الإنسانية: ترى أن كل ما يحقق الأغراض والرغبات الإنسانية حق، وهذا النمط يتضح لنا بجلاء في كتابات الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) وبالذات في كتاباته عن الأخلاق وعن الدين.

وقد نقل هذا النمط الفيلسوف الإنجليزي (شيرلر) إلى إنجلترا وأسس المذهب الإنساني.

2- البرجماتية التجريبية: ترى أن الحق ما يؤدي إلى عمل بمعنى ما يكون متحققا تجريبيا، وهذا هو المبدأ الذي تقوم عليه البرجماتية التي تعد تطورا للمنهج التجريبي.

3- البرجماتية الإسمية: وهي فرع من البرجماتية التجريبية، بحيث ترى أن نتائج الأفكار هي ما تتوقعه في صورة وقائع جزئية مدركة في الخبرات التي تحدث في المستقبل، على سبيل المثال معنى الطبيعة الإنسانية والأقوال الصحيحة التي تقال عن الطبيعة لكل هذا ليس عن جوهر معين لـ (الإنسان)، بل بالأحرى عن الأفعال الجزئية لأفراد الناس الجزئية<sup>2</sup>.

4- البرغماتية البيولوجية: هي الرؤية البيولوجية للبرجماتية، ويرتبط هذا النمط بشكل دقيق بالبرجماتي (جون ديوي)، ويرى هذا النمط أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته، فالتأقلم الناجح، المؤدي إلى البقاء، هو بمثابة المعيار على هدف الأفكار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص77،

<sup>2</sup> - محمد مهراڤ رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984، ص44.

<sup>3</sup> - محمد مهراڤ رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص44-45.

## المبحث الرابع: أسس وقواعد المذهب البرجماتي:

1- التجريبية العلمية: تعد الفلسفة البرجماتية تطورا للاتجاه التجريبي العلمي<sup>1</sup> ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرقا، وأقل ممانعة فيه، واعتراضا عليه، وفي نفس الوقت مما سبق لها أن أخذته على عاتقها حتى الآن<sup>2</sup> كما يقول رائدها (وليم جيمس).

كما أنها تتفق مع مذهب الأسمية عندما نلجأ دائما "للاصطفائية" في التفاصيل الجزئية (Particulars)، وتتفق مع مذهب النفعية<sup>3</sup> في توكيدها للنواحي العملية، وتتفق مع الفلسفة الوضعية في ازديادها للحلول الكلامية، والتجريدات الميتافيزيقية<sup>4</sup>.

كما أنها تتجاوز سلبيات المناهج السابقة، وتأخذ أفضل ما فيها لتكون منبعا جديدا يوجهنا للعمل، بدلا من التأمل في ظواهر الكون، فهي منهج عملي انتقائي يرفض الجمع بين المتناقضات عندما يدعونا للاختبار<sup>5</sup>

وبهذا نلاحظ أن المنهج البرجماتي لا يهتم بمصدر الأفكار، ولا يكفيه ظهورها، وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على سلوكنا وحياتنا.

ولتأكيد تتبع الأثر العملي وتأثيره في صدق الفكرة أو القضية يقول (وليم جيمس):

1- إذا اعتقدت في صدق قضيتين، فأنظر في أثر كل منهما على سلوك العملي، فإن اختلف سلوكه في كلا الحالتين فالقضيتان مختلفتان، وإن لم تختلف النتيجة فالقضيتان قضية واحدة، ولكن بصورتين لفظيتين مختلفتين.

<sup>1</sup>-عزمي إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص85.

<sup>2</sup>- وليم جيمس، البرجماتية، تر: محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص71، 70.

<sup>3</sup>- توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص21.

<sup>4</sup>- وليم جيمس، البرجماتية، ص74.

<sup>5</sup>- حسن محمد الكحلاني، فلسفة التقدم، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص98.

2- إذا لم يختلف الأثر العملي نتيجة لاعتقادك بصدق قضية عن الأثر العملي المترتب على اعتقادك بكذبها<sup>1</sup>.

فالبرجماتية أسلوب في توضيح الأفكار والمعاني لإزالة ما يشوبها من غموض، وتعتبر نظرية في الصدق والصدق مرتبط بالنجاح العملي والسلوك الناجح، أي الفكرة تكون صادقة بقدر ما تحقق نجاح عملي، حتى في المجال العلمي مثلاً قانون الجاذبية الأرضية يكون صادقاً بقدر ما يعود على الإنسان بنفع عملي وهذه المنفعة تتجلى مثلاً بعد أن عرف الإنسان قانون الجاذبية هذا الأمر جعله بجمل كأس مملوء بالماء إلى الأعلى وهذه نتيجة ناجحة، فالفكرة الصادقة هي التي تؤدي إلى سلوك ناجح في الحياة فهي كورقة النقد يجب أن تكون لها قيمة فورية.

## 2- تتبع النتائج العملية:

هذا المبدأ يتضح بجلاء من خلال تعريف البرجماتية، حيث إنه مشتق من الكلمة التي تعني العمل، بل إن معيار الصدق في البرجماتية لأية فكرة إنما يمكن فيما يترتب عليها من نتائج عملية<sup>2</sup>.

بل إن مؤسس البرجماتية "بيرس" حدد منهجه بفكرتين رئيسيتين هما:

- 1- الفكرة الحقيقية هي التي تجد طريقها إلى التطبيق العملي، وتقودنا إلى الهدف.
- 2- فكرتنا عن موضوع ما هي فكرتنا عن النتائج المترتبة على الآثار العملية.

فالعمل إذاً هو المعيار لصدق الفكرة وليس الوعي المجرد<sup>3</sup>، كما أنه يرى أن الفكرة لا بد أن تكون واضحة، ثم لا بد أن نعتقد بإمكان تطبيقها فعلاً، وقد عبر عن ذلك بقوله: معنى الفكرة التي نعتقد في صحتها هو ما أنت على استعداد للقيام به من عمل إرائها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - حبيب الشاروني: محاضرات في الفلسفة المعاصرة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1978، ص17

<sup>2</sup> - وليم جيمس، البرجماتية، ص66، 65 (بالتصرف).

<sup>3</sup> - حسن محمد الكحلاني، فلسفة التقدم، ص99.

<sup>4</sup> - عزمي إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ص100، 94.

إذا الواقع العملي يؤكد ان النجاح لا نصل إليه بأفكار فارغة من مضمونها العملي، بل هو نتيجة عن الأفكار الحيوية، التي توجه الإنسان نحو العمل، ومن هنا يتبين أن حياة الإنسان بحاجة إلى فلسفة عملية كالبرجماتية تدفع بالإنسان وبفكره نحو تحقيق منافع ومصالح في حياته والعمل بالطبع هو المعيار لتحقيق النتائج.

3- **القطيعة مع الماضي:** يعتبر من الأسس التي يقوم عليها "المنهج البرجماتي"، إذ ينطلق من المستقبل متجاهلا الماضي وجاعلا الحاضر لحظة إعداد لتحقيق برنامج تصنعه للمستقبل.

إن القول بدلالة الصيغ العلمية دلالة علمية بحتة، هو القول بأن هذه الصيغ لا ترجع إلى الماضي بل تتجه إلى المستقبل فالعلم لا يبحث في الماضي إلا على ضوء المستقبل. إنه ينبئنا عما يجب أن نتوقعه إذا أدينا هذا العمل أو ذاك، ويخبرنا عن الإحساسات التي تحدث لنا إذا أحسنا بالفعل بهذا الإحساس أو ذاك<sup>1</sup>.

وبهذا الصدد يقول "وليم جيمس": "إن البرجماتي يدير ظهره بكل عزم وتصميم، وإلى غير رجعة، لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة الغزيرة على الفلاسفة المحترفين. إنه ينأى بعيدا عن التجديد وعن عدم الكفاية، ويعرض عن الحلول الكلامية، وعن التعليقات القبلية لدرئية (السابقة على التجربة)، وعن المبادئ الثابتة، وعن ضروب المطلق والأصول المزعومة، وهو يولي وجهة شطر الإستنادية، والمحسوسية، والكفاية، شطر الحقائق والوقائع<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 219.

<sup>2</sup> - وليم جيمس: البرجماتية، ص 81.

ويقول "جون ديوي": "إن الراديكالي الذي يؤكد أن منهج المستقبل في التغيير لا بد أن يكون منهج الماضي، إنما مع الرجعي الذي يؤمن بأن الماضي يملك الحقيقة القصوى، فكلاهما يغفل حقيقة أن التاريخ عملية تغيير مستمر<sup>1</sup> .

فالفلسفة البرجماتية استبدلت النظر إلى المستقبل بالنظر إلى الماضي، لهذا فهي لا تسأل كيف تنشأ المعرفة أو الأفكار، بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة، أو تلك في عالم الواقع<sup>2</sup> .

ترفض الفلسفة البرجماتية كل الفلسفات التي تكتفي بتحليل مكونات العالم، ولا تعمل على تغييره، وتكتفي بالنظر إلى الماضي بدلا من المستقبل، ولهذا فإن المنهج البرجماتي هو أسلوب جديد في التفكير، يتسم بالتجاوز المستمر للماضي، ولذا نجده يؤكد إمكانية الابتكار والتقدم المتجدد، وهنا تكمن ثورية هذا المنهج وهذه الفلسفة<sup>3</sup> .

فهذا الأساس يحدث قطيعة مع الماضي، ويرفض البحث في المبادئ الأولية، فلا يسأل عن كيفية نشوء الأفكار ولا عن منبعها ومصدرها، بل يبحث عن النتائج العملية التي تغير الواقع إلى الأفضل .

#### 4- الوعي الواقعي :

ويقصد به أن البرجماتي ينبغي أن يكون ذا وعي شديد وتنبه دقيق عن مناقشة الأفكار، وتجربتها، والتأكد من صديقتها، فهو لا يعبأ بالأفكار المجردة والمناقشات التي لا تلامس الواقع، وإنما ينظر إلى الأفكار والنظريات من خلال قدرتها على تغيير أسلوب حياتنا وصنع المستقبل .

<sup>1</sup> - حسن محمد الكحلاني: فلسفة التقدم، ص103.

<sup>2</sup> - عزمي إسلام: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ص86 .

<sup>3</sup> - حسن محمد الكحلاني: فلسفة التقدم، ص104.

لهذا فإن وليم جيمس يرى أن النظريات تصبح أدوات ووسائل لا حلولاً لألغاز ولا إجابات على أحجية، نستطيع أن نسكن إليها<sup>1</sup>.

واستمر هذا المنهج بعد "جيمس" لدى "جون دبوي" الذي اشتهرت فلسفته بالذرائعية<sup>2</sup> أو الأدائية، إذ يرى أن الفكر ما هو إلا أداة من أجل العمل، ولا يبدأ الانسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها<sup>3</sup>.

فالعقل عند البرجماتي أداة لفهم العلم وتغييره، والنظريات الفلسفية وسائل تقودنا لإنجاز أهداف نحددها نحن في المستقبل<sup>4</sup>.

### المبحث الخامس : أهم الأفكار البرجماتيّة

لدى البرجماتيّة الكثير من الأفكار التي تركت تأثيراتها المختلفة على كثير من المجتمعات والأفراد بل والدول والحكومات، ويرجع ذلك إلى كثرة فلاسفتها وتعدد مصدرها وأصولها التي أشرت إليها فيما سبق .

وأود الإشارة إلى أهم أفكار البرجماتيّة أو أهم نظرياتها وأخص منها بالذكر "نظرية الصدق" باعتبارها أساس تصوراتها، ومفهوم الخبرة :

#### 1- نظرية الصدق البرجماتيّة :

تعتبر نظرية الصدق أو مشكلة الصدق كما يحلو للبعض أن يسميها من أهم وأعقد الموضوعات في البرجماتيّة، ويكاد لا يخلو كتاب من الكتب التي تتناول نظرية الصدق من

<sup>1</sup> - وليم جيمس :البرجماتيّة، ص74.

<sup>2</sup> - لفظة الذرائعية مرادفة للفظّة "البرجماتيّة" التي كانت قليلة الاستخدام في اللغة الانجليزية، حتى استخدمها بيرس للدلالة على مذهبه، واستخدمها باعتبار أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الانسان لحفظ بقائه ثم لبحث عن الكمال .

<sup>3</sup> - أ.م. بوشكسي :الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر :د. عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت، ص 162.

<sup>4</sup> - حسن الكحلاني :فلسفة التقدم، ص105.

الإشارة إلى نظرية الصدق البرجماتية the pragmatic theory of truth بالإضافة إلى إشارتها إلى نظريتي التطابق correspondence والاتساق coherence.

لقد رفعت البرجماتية صيغة تلخص بها نظرية الصدق ملخصها "الصدق هو ما له أثر" وتعتمد مثل هذه النظرية، ولو في جزء منها، على الاعتقاد الذي يفترض أن البرجماتية هي موقف فلسفي جديد، يهدف مؤيدوه إلى طرح التقاليد الفلسفية السابقة لكي يستطيعوا تأسيس فلسفة عملية جديدة تدور حول طبيعة الأشياء<sup>1</sup>.

هناك أسباب تبدو معقولة لكي نعتقد أن البرجماتية تحاول تقديم نظرية أمريكية مختلفة للحياة والعالم، كما تحاول في نفس الوقت تجنب التعصب jingoism ومن دواعي الارتياح أن يقول المؤمنون بالبرجماتية أنها توجد الاعتقادات والاتجاهات وتبلور حركة أمريكا نحو التطور والتنمية لأنه تتعامل بمنطق "شعب الشعوب" a people of peoples وأمة الأمم the nation of nations .

لقد حاول "بيرس" أن يميز بين الصدق وبين الواقع ثم يقوم بالربط بينهما بطريقة تتسم بالذكاء، فالصدق كما يقول بيرس هو "انطباق عبارة مجردة على البحث الذي لا نهاية له" حتى يتكون لدينا اعتقاد علمي بينما يعرف الواقع بأنه طريقة حياتنا بالفضيلة حتى يكون الشيء هو عين ذاته<sup>2</sup>.

كما نجد "وليم جيمس" أنه فكر في استخدام عدة طرق لكي يعبر بها عن مفهوم "الصدق truth"، ووجد أن النموذج الأصلي لعملية الصدق هو المبدأ الموجه منطقياً أو

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، ص 80.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 81.

تصوريا نحو الفكرة وإلى ما يمكن أن يتم (التحقق منه تحققا كاملا وببساطة) وعلى سبيل المثال، فإن الاحساسات أو التأثيرات الحسية تجعل الإنسان يتوقع ما يحدث بالفعل<sup>1</sup>.

حيث يبدأ جيمس نظريته في الصدق بتعريفه لكلمة "الصدق" يقول: "الصدق علاقة بين شيئين: فكرة، وواقع خارج على الفكرة ولهذه العلاقة أساس هو الأساس التجريبي الحسي لا المطلق المجرد ونعني بذلك أنه يمكننا تعريف هذه العلاقة تعريفا تجريبيا خالصا ومن ثم وصفها وصفا محددًا"<sup>2</sup>.

ويقول أيضا: "يعني الصدق في الأفكار مطابقتها للواقع، ويعني الخطأ فيها عدم مطابقته له"<sup>3</sup>.

#### ماذا يقصد بالمطابقة للواقع ؟

كان يقصد به ثلاثة عناصر أساسية: قصد به أولا الأشياء والحوادث والوقائع الجزئية التي يمكن أن تبدو للحس، وقصد به ثانيا العلاقات الكائنة بين هذه الأشياء والوقائع، إنه اعتبر مذهب هيوم و مل والوضعيين ناقصا في نظرتهم إلى العلاقات حيث ردها إلى صياغة العقل لترتيب الأشياء. رأى جيمس أن العلاقات جزء من الواقع الحسي وتخضع للإدراك الحسي كالوقائع سواء بسواء، ورأى جيمس أن العلاقات أنواع ثلاثة: علاقات بين الوقائع، وعلاقات بين الأنواع، وعلاقات بين الأفكار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجماتية، تر: د.ابراهيم مصطفى ابراهيم، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص88.

<sup>2</sup> - كامل محمد عويضة: وليم جيمس رائد المذهب البرجماتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص 76 .

<sup>3</sup> - كامل محمد عويضة: وليم جيمس، ص77.

<sup>4</sup> - نفسه، ص80.

## 2- مفهوم الخبرة البرجماتي :

ينبع مفهوم الخبرة البرجماتي أساسا من نقد الفلاسفة الأمريكيين لفلاسفة القارة الأوروبية خاصة فلاسفة المذهب التجريبي الكلاسيكي عند جون لوك وجورج بركلي وديفيد هيوم .

إن الخبرة بمعناها العم لدى التجريبيين الأمريكيين تدور حول المعرفة التي تحتوي على الخبرة أو الموضوع المادي، واعتبروا الخبرة مسلمات حسية وإحساسات وإدراكات حسية تقوم في مقابل العقل أو الفكر ثم في مقابل "العالم الخارجي" وأصبحت الخبرة باختصار هي الجسم الحسي كموضوع مادي يسكن العقل<sup>1</sup> .

كما نعلم كان وليم جيمس أقرب البرجمائين إلى التجريبيين الإنجليز، وينصب الفرق الرئيسي بينه وبين التجريبية التقليدية على إدراكه الأوسع لمحتويات الخبرة، وهي تشمل العلاقات والجزئيات التي تربطها بعضها ببعض الآخر<sup>2</sup> .

وتصدى "جون ديوي" لمناقشة موضوع الخبرة في الفلسفة الأمريكية في عدة كتب منها: مشكلات الناس، موقف الانساق المنطقية والخبرة والطبيعة .

يقول ديوي في الخبرة والطبيعة experience and nature : "إن الخبرة هي شيء ما بالإضافة إلى أنها موجودة في الطبيعة، وما لم نمرر به فهو ليس بخبرة، أما الطبيعة فهي الحجارة، والنبات، والحيوانات، والأمراض والصحة، ودرجة الحرارة، والكهرباء..."<sup>3</sup> .

انتهى ديوي إلى أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية، وإذا كان المفكرون في العصور السابقة التي لم تتوصل بعد إلى التكنولوجيا التي

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، ص82.

<sup>2</sup> - نفسه، ص83.

<sup>3</sup> - نفسه، ص83.

عرفها العصر الأخير، إذا كانوا يبحثون عن أسباب الأعمال خارج نطاق التجربة<sup>1</sup>، فإن ذلك الأخير غير ممكن اليوم، وينبغي رفض كل الأفكار التي تتعالى على الطبيعة، في هذا العصر المتقدم، والاتجاه بالكلية إلى "الخبرة" experience<sup>2</sup>.

وتعلمنا الخبرة أن كل شيء يتغير، وأنه لا يوجد ثبات أو سكون لا في ميدان المادة ولا في ميدان العقل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أي في الميتافيزيقا

<sup>2</sup> - experience، وقد ترجم الكثير من كتب ديوي إلى العربية بفضل أساتذة التربية الذين اشتغلوا على أفكاره، وبفضل دار النشر الأمريكية "فرانكلين"

<sup>3</sup> - إم. بوشسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص162.



فلسفة وليام جيمس وجماليات فكره البرجماتية

❖ فلسفة وليام جيمس

❖ الحقيقة عند جيمس

❖ التجريبية الأصيلة عند

جيمس

❖ الدين عند جيمس

❖ الأخلاق عند جيمس

تمهيد:

ينظر العالم الى وليام جيمس على انه نموذج الفيلسوف الامريكي وعنوان الفلسفة الامريكية ،فهو اكثرهم شيوعا وأوسعهم انتشارا في سائر أنحاء العالم سيرورة وذيوعا، ترجمت كتبه كلها أو بعضها الى كل لغات العالم المتحضر ويرجع ذلك الى عوامل عدة، فقد جاءت حياته في الفترة التي استكملت فيها الولايات المتحدة الامريكية استقلالها الفكري ولم تعد تابعة من توابع الفكر الاوروبي، اصف إلى ذلك ما أتيج له من الالمام من اللغات الاوروبية.

ان فلسفته تقسر (الحياة الجادة) للعصر الذي صيغت فيه في امريكا وان كانت ايضا رسالة للناس في جميع العصور، وإذا حاولت أن أبين فلسفة جيمس في صورة اتساقا أو نسقية مما فعل جيمس نفسه، وما سيحتويه هذا الفصل سيكون بالتالي عرضا مختصرا متواضعا للمسائل البارزة من بعض فصول كتبه واكملة بموضوعات موجودة في أعماله ومراجع مختلفة وهذه الموضوعات المختلفة كالحقيقة و تجريبية متطرفة والاخلاق والدين، استطاع ان يقيم من السيكلوجية أساس من مقتضيات التجريبية الصارمة (المتطرفة) وهي في الحقيقة رد ذاتي للواقع الى خبرة خالصة إلى الوعي، وقد استعاض بمبدأ المنفعة الذرائعي (العملي) عن الفهم الموضوعي للحقيقة ومهد الطريق للمذهب الإيماني، وقد كشف في محاضراته عن البرجماتية المفاهيم الفلسفية والنتائج العملية عن اهمية الفلسفة العملية التي تجعل من العمل مبدأ مطلقا وكل هذا سيظهر في هذا الفصل الخاص بفلسفة وليام جيمس البرجماتية.

المبحث الأول: فلسفة وليام جيمس

قال وليام جيمس بمنهج فلسفي أو أداة لحل المشكلات الفلسفية هو المنهج البرجماتي ويمتاز بخاصيتين:

أولاً: أنه ثورة على المناهج العقلية والتأمليين قائلًا إن بعض مشاكلهم ليست مشاكل بالمعنى الدقيق، وإن حلولهم للمشاكل لفظية لا قيمة لها أو غامضة ولا وجود فيها.

ثانياً: أنه منهج تجريبي من نوع جديد، أي يرى قيمة النظرية كائنة في نتائجها وأثارها على الفكر والسلوك<sup>1</sup>.

أي ليس صورة لمنهج تجريبي الذي كان يتبناه هيوم أو جون لوك ويكون وغيرهم.

حيث يتوسع جيمس في التفرقة بين نوعين من الأمزجة، ويصوغها في تقسيمه الثنائي الشهيرين " أصحاب العقول اللينة " Tender-minded، و " أصحاب العقول الصلبة " tough-minded، أما أصحاب العقول الأولى فهم العقلانيون ( ويقصد بهم جيمس الدين يسير وفقاً للمبادئ: "الذهنيون، المثاليون، المتفائلون... وأما " أصحاب العقول الصلبة "فهم التجريبيون (الذين يسرون وفقاً للواقع) : الحسيون، الماديون، المتشائمون..، وقد يجمع فيلسوف بين المزاجيين ولكن أحدهما يسود الآخر في معظم الأحيان<sup>2</sup>.

لقد قال جيمس بنظرية جديدة في الصدق ينكر فيها نظريتي المطابقة والاتساق التقليديتين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليام جيمس، ص16.

<sup>2</sup> - فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل بيروت، 1993، ص 108.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 16.

والمطابقة هذه النظرية قال بها كل من المنهج التجريبي عندما يقول معيار صدق الفكرة عندما يتطابق ما في الأذهان مع ما في الأعيان، نظرية الاتساق التي قال بها العقليين عندما قالوا صدق الفكرة ومدى اتساقها مع غيرها من الأفكار.

وينكر جيمس أية معارف فطرية أو قبلية أو ضرورية ثابتة، ويرى فيها أن المعرفة مكتسبة وتجريبية وجزئية ويفسر الصدق تفسيراً جديداً في طبيعة العلاقة ووظيفة المعرفة ويرى أن المعرفة ليست غاية وإنما هي وسيلة لتحقيق أغراض الإنسان النظرية منها والعملية<sup>1</sup>.

إذا فالمعارف التي ينكرها جيمس يمكن أن تكون سواء كانت فطرية أو قبلية أو ضرورية ثابتة، وليس الغاية أن نعرف فقط ولكن الغاية من معرفتنا هي أن نحقق أغراضنا وحاجتنا وأهدافنا سواء كانت نظرية أو كانت عملية.

ولجيمس أيضاً نظرية جديدة يفسر بها العلاقة بين الذات والموضوع في مجال المعرفة، إذ ينكر الثنائية الحاسمة ويعلن أن شعور الإنسان والموضوعات الفيزيائية ليس من طبيعتين متميزتين وغنما يصدران عن منبع واحد هو التجربة الأصيلة.

وله نظرية جديدة في العلاقات يسميها النظرية الخارجية في العلاقات يهاجم بها النظرية الداخلية للعلاقات، يثور فيها على التأملين في قولهم بالوحدة المطلقة الضرورية بين أجزاء العالم، ويثور على التجريبيين في قولهم بالتعدد المطلق، ينكر جيمس العلاقة الضرورية والانفصال المطلقة بين أجزاء العالم ويصطنع موقفاً وسطاً بين العقليين والتجريبيين.

وله نظريات في الاعتقاد الديني يثور فيها على المسيحية الكنيسة وعلى الفلسفات اللاهوتية، وعلى الفلسفات الترنسدنالية وعلى الفلسفات التجريبية على السواء يهاجم الشكاك

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليام جيمس، ص 16.

والمحايدون ويعتبرهم جميعاً منكرين ويدعم سلطان الوجدان والإرادة وأن لهما دوراً رئيسياً في إقرار الإيمان حيث يفشل الذهن فيه. ويستند في كل ذلك إلى أبحاث سيكولوجية عن التصوف وأبحاث نفسانية وتحليلات في طبيعة النفس ومدى اتصالها بأكوان غير منظورة<sup>1</sup>.

هذه عناوين فلسفة وليام جيمس، فما هي التيارات الفكرية المختلفة التي ما كانت فلسفة جيمس والمذهب البرجماتي على وجه الخصوص إلا نتيجة ضرورية لها، وبمعنى آخر:

- ماهي الأطوار العقلية التي مر بها جيمس حتى وصل إلى تكوين مذهبه؟

و للإجابة عن هذا السؤال أي عن تيارات فكرية ثلاثة متعارضة كانت معاصرة لجيمس وهي: الاتجاه التجريبي، الاتجاه الروحي، الاتجاه العقلي أو المثالي الألماني.

#### 1- الاتجاه التجريبي:

ويتناول نقطتين: لمدرسة التجريبية الإنجليزية، ونظرية التطور البيولوجية.

#### - المدرسة التجريبية الإنجليزية<sup>2</sup>:

أنصارها: لوك وباركلي، وهيوم، من الفلاسفة الإنجليز<sup>3</sup>.

**جون لوك:** من الثابت أن جيمس قرأ فلسفة لوك وأعجب بها إذا كان يسميه "لوك العظيم"، "الكتاب العزيز القديم"، ولم يكن مجرد تابع له، ولكنه قرأه قراءة تحليلية نقدية: اخذ عنه بعض أفكاره وأنكر بعضها الآخر، أخذ جيمس أن المعرفة تستمد أساسها من التجربة، وأنه لا توجد معرفة قبلية وأن الوجود الحقيقي وجود الجزئيات وأن الكليات ما هي إلا تجريدات ذهنية ولا بد أن تلي الجزئيات في المرتبة.

<sup>1</sup> - محمد محمد عويضة، وليام جيمس، ص 17.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 18.

<sup>3</sup> - وليام جيمس، البرجماتية، ص 4.

وأنكر جيمس لوك ثلاثة أشياء هامة: العقل صحيفة<sup>1</sup> بيضاء، عدم عبور الهوة بين الأفكار والأشياء، ليس للكليات أهمية بالغة<sup>2</sup>.

فإنكار جيمس هنا لا يقصد الثورة عليها بقدر ما يقصد تصحيحها وتعديلها.

**-جورج باركلي:** لقد أعجب جيمس بفلسفة باركلي وقال عنه إنه برجماتي دقيق

قبل أن ينشأ المذهب البرجماتي في النادي المتافيزيقي، ولم ينس جيمس رأي باركلي في تعريف المادة والجوهر المادي، بل استشهد به وهو يطبق بعض المشاكل الفلسفية على المنهج البرجماتي، أشاد بباركلي حيث رأى عدم وجود شيء إسمه الجوهر المادي وراء مجموعة الإدراكات الحسية.

انتهى جيمس من ذلك إلى توضيح فكرة باركلي بقوله إن باركلي لم ينكر وجود المادة

ولكنه قال لنا مما تتركب؟

**-دفيد هيوم:** رأى جيمس - كما يرى تاريخ الفلسفة حتى اليوم - أن هيوم<sup>3</sup>

وصل بالمذهب التجريبي إلى قمته، وأعجب جيمس به كل الإعجاب، ولكنه لم يجد مانعا أن يثور عليه في بعض المواضيع بل كان يحس جيمس أن عليه رسالة هي ان يصحح فلسفة هيوم لكي يحفظ المذهب التجريبي من الضياع فقد كانت فلسفة الشك والتشكك مهددة بالثورة على موجة الإنكار.

**-وأنكر جيمس من هيوم ثلاث مسائل رئيسية:** موقف الشك، طبيعة العقل،

رأيه في العلاقات<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويضة، وليام جيمس، ص 18.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 19.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 22.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 23.

-نظرية التطور البيولوجي: أثرت على بيرس مؤسس المذهب البرجماتي

وجيمس ديوي على السواء.

ويمكن القول بأن تأثير التطور كان أعم وأشمل من تأثير التجربة الإنجليزية في الفلسفة البرجماتية ذلك أن جيمس تأثر بالمدرسة الإنجليزية دون بيرس أو ديوي، ونظرية التطور التي عرفها وليم جيمس هي نظرية دارون<sup>1</sup>، لنظرية لا مارك أو سبنسر<sup>2</sup>.

ب- الاتجاه الروحي: التيار الروحي أو الديني، كان جيمس بحكم نشأته ميالا إلى الإيمان والإعتقاد واتجه إلى تبرير ذلك تبريرا فلسفيا، وشعر أن تلك رسالته وآراء تحقيقها وظل ساعيا حتى مات. ولم يعتقد جيمس أنه إنحرف عن الإتجاه التجريبي بالخوض في الدين وإنما اعتقد أنه يوسع من نطاق التجربة، ويعدل من مفهوم الاتجاه حتى لا يكون إنكاره للدين ثغرة وفسادا<sup>3</sup>.

إذا أردنا أن نفهم التطور العقلي لجيمس فينبغي علينا ألا نتوقف ونقف عند تأثيره بما سبق أي المدرسة التجريبية الإنجليزية أو التيار التجريبي، بل يجب أن نضيف الاتجاه الروحي يعتبر نقطة مهمة عند جيمس.

يمكن فهم التيارات الروحية من خلال أثر:

1- هنري جيمس: تأثر وليم بتدين أبيه هنري كبيرا، ولقد كانت نشأة هنري دينية ويقال إن أعدى أعدائه الشك والإنكار وأحب الأشياء إلى نفسه الإيمان والاعتقاد، كان متأثرا بنزعة روحية سادت العصر كله وكانت تسمى هذه النزعة بالمذهب الترنسدنالي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- أظهر جيمس إعجابه بدارون وقال إنه النموذج للعلم التجريبي الدقيق ويقال إنه كتب مقالات كثيرة سنة 68 يمتدح فيها دارون.

<sup>2</sup>- كامل محمد عويضة، وليم جيمس ، ص29.

<sup>3</sup>- نفسه، ص31، 32.

\* - حركة فلسفية ودينية معاصرة تعارض فلاسفة القرن الثامن عشر وترى أن كل تجربة مهما صغرت تقودنا إلى ما يكشف عن الكون بأسره، ومن ممثليها "إمرسون" المعجم الفلسفي، دكتور إبراهيم مذكور، ص44.

<sup>4</sup>- نفسه، ص32

فهنري جيمس وكما يظهر لنا أن الإيمان هو أقرب الأشياء لنفسه والمذهب الترنسنتالي كان متأثراً به لأنه نزعة روحية سادت العصر كله.

تأثر هنري بذلك المذهب بل كان صديقاً لحامل دعوته في نيوانجلندا - وهو إمرسون\* .

وكان إمرسون أديباً وفيلسوفاً وله آراء تجدها في بذور الفكر البرجماتي، فلا شك أن هنري لقنها لابنه وليم، كان يعتقد إمرسون بالمعجزات وأن في مقدور العقل الإنساني أن يصل إلى مجال خارق للطبيعة يجد فيه الوحي والإلهام. وكان يرى أن الشرط الأول لتحصيل الحقيقة هو استخدامها إذ لا بد أن يرد علم الإنسان إلى عمل وأن العمل كمال الفكر<sup>1</sup>.

يظهر هنا أن إمرسون يبين لنا أنه يوجد عنصر خارق للطبيعة في تركيب الإنسان ألا وهو العقل وهذا العنصر أي (العقل) بفضلله يؤمن الإنسان بأنه توجد قوى روحية في الكون.

ولقد قدر إمرسون المعرفة الحسية وقال بأنها معرفة صحيحة قد تكون معرضة للشك أحياناً ولكن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن العالم الطبيعي موجود وليس وهماً. وكان يرى أن الذهن مفتاح لفهم أسرار الكون وأن القوانين الطبيعية ما يقابلها في الذهن، أي توجد موازنة كاملة بين قوانين الطبيعة وقوانين الفكر<sup>2</sup>.

ولم يكتف جيمس بأن عرف فلسفة إمرسون عن أبيه ولكنه درسه دراسة خاصة وهو يؤلف صندوق التجربة الدينية مما يدفع إلى القول بالتأثير الكبير الذي أحدثه إمرسون في نفس جيمس.

\* - تعرف هنري بإمرسون في نفس السنة التي ولد فيها وليم فقد دعاه هنري مرة لزيارته في منزله فتصادف أن يصل إلى المنزل وقت ولادة وليم.

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص33.

<sup>2</sup> - نفسه، ص33، 34.

سويد نبرج<sup>1</sup> (1688-1772): كان من علماء اللاهوت وأصحاب الرؤى، كان مذهبه أفلاطونيا محدثا، يعتقد أن الإنسان عاجز عن بلوغ الحقيقة بوسائله الحسية وأنه لا يتم بلوغها إلا بكشف أو بإلهام صوفي<sup>2</sup>. ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن دوافع جيمس إلى التدين والتصوف ناشئة عن هذه البيئة الروحية التي عاشت فيها أسرة هنري<sup>3</sup>.

### ج- الاتجاه العقلي أو الاتجاه المثالي الألماني:

كانت توجد تيارات في إنجلترا والولايات المتحدة قبل أن ينتصف القرن التاسع عشر غير التيار التجريبي وأعنى بها المثالية الترنسندنالية في صورتها الفلسفية والمنطقية والميتافيزيقية.

ويقصد بالمثالية الترنسندنالية فلسفة كانط ونتشه وهيجل<sup>4</sup>.

إن الأصل عند المثاليين فكرة في الرأس، وهو عند التجريبيين واقعة خارجية تدرك بالحواس، لكنه عند الجماعتين قائم سابق على القول الذي هو إنما جاء ليحكي عن ذلك الأصل ويصوره<sup>5</sup>.

لم يكن موقف جيمس من الفلسفة المثالية موقف الأخذ عنها بل موقف الصراع معها، ولم يأخذ جيمس من هذه الفلسفة سوى القليل النادر. لقد أنكر جيمس من كانط آراءه في الأفكار القبلية وفي القانون الخلقى والمعرفة الكلية والضرورية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - إيمانويل سودينبورغ عالما سويديا ومنتصوفا مسيحيا وفيلسوف وعالم لاهوت كتب العديد من المجلدات في تفسير الأنجيل.

<sup>2</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص34.

<sup>3</sup> - نفسه، ص35.

<sup>4</sup> - نفسه، ص40.

<sup>5</sup> - وليم جيمس، البرجماتية، ص2،3.

<sup>6</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص41.

يظهر هنا بان جيمس لم يأخذ الكثير من هذا التيار، وقد أنكر أيضا بعض لآراء عند كانط.

ومن الحق أن أقول أن جيمس أخذ عن كانط فكرة أساسية واحدة وجهته في فلسفته البرجماتية هي حق العقل العملي في تقرير مصير بعض الحقائق كالحقائق الخلقية والدينية. وموقف جيمس من هيجل وأتباعه المعاصرين له في إنجلترا والولايات المتحدة موقف النقد والهجوم والصراع، أكثر منه موقف الأخذ عنهم<sup>1</sup>.

أجد جيمس أيضا متأثر ليس فقط بفكر كانط وهيجل، وإنما أجد أيضا الفكر الألماني أخذه من "لوطزه".

-لوطزه<sup>2</sup> Lotze (1817-1881): عند جيمس أفكار ثلاثة وجهه فيها

لوطزه وهي: فاعلية العقل، وتصور نقدي لفلسفة الظواهر، ونظرية التعدد<sup>3</sup>.

إذا فجيمس قرأ لمعاجم لوطزه وأخذ عليه تلك الأفكار ويمكن تبينها في الفقرات التالية. كان يعتقد لوطزه أن الإنسان مجرد مرآة للواقع وليس للعالم الخارجي كما يصلنا عن طريق الإدراك الحسي نسخة من الواقع وإنما في عقولنا عنصر يضيف جديدا إلى ادركنا للوقائع الحسية، ولعل توجيه هذه الفكرة من لوطزه أثر في جيمس ودفعه إلى نقد لوك في طبيعة العقل وإلى نقد نظرية المطابقة التقليدية مما استغله في نظرية المعرفة البرجماتية<sup>4</sup>.

إذن فاعلية العقل عند لوطزه يضيف الجديد إلى إدراكنا للواقع والوقائع الحسية.

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص 41.

<sup>2</sup> - لوطزه: عالم في الطب والفيزياء والفيزيولوجيا ومهتم بالفلسفة بل ودرسها في جامعة ليزبرج، سمي مذهبه (الكنطية الجديدة)، وسماه أيضا المثالية الغائية وفق بين موندات لينتر ووحدة وجود بسينوزا، وبين الواحدية والتعددية وبين الآلية والغائية ووحدة الوجود والتعدد والعلاقات بين العقل والبدن ووجود أشياء في ذاتها.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 43.

<sup>4</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

وكان يعتقد لوطزه انه يوجد وراء الظاهرات البدنية فينا مبدأ الوحدة، وذلك المبدأ الذي يجبرنا على افتراض وجود روح غير مرئية وراء الحس متميزة عن البدن، ونجد في هذه الوحدة مبدأ الثبات في التغير والوحدة في الكثرة. وكان يعتقد لوطزه بأن صلة الروح بالبدن صلة تفاعل ولكنه رأى أن تفسير هذا التفاعل أمر عسير<sup>1</sup>.

ورأى لوطزه رأياً في تصور الكون فهو تعددي على طريقة ليبنتز لا توجد وحدة مطلقة، ولكن الأجزاء والعناصر المادية في ماهيتها، قوى روحية قد يكون لهذه الآراء أثر جيمس، ويذكر جيمس نفسه هذا الأثر ويعترف به لقد أخذ من لوطزه ما تتاسب مع الميول التجريبية فنبهه إلى أن العلاقات مع انفصالها قد تكون واصلة بين الأشياء وإلى نظرية التفاعل بين العقل والبدن نظرية صحيحة، ونبهه أخيراً إلى الاعتقاد بعضنا روحية في هذا العالم أو وراءه<sup>2</sup>.

أما بالنسبة إلى سبب إتجاه جيمس نحو الفلسفة البرجماتية فقد أراد أن يشرح لنا الأسباب التي أدت إلى ترك البحث في المشكلات بحثاً نظرياً مجرداً تأملياً و الإتجاه في بحثها بحثاً علمياً ، كتب مقالا شهيراً \* إنتهى فيه إلى أن الأبحاث النظرية ناقصة بالضرورة و أن الحلول الصادقة للمشاكل الفلسفية هي الحلول المرتبطة بالسلوك العملي و المرضية لمطالب الانسان<sup>3</sup>.

يرى "جيمس" في هذا المقال أن للإنسان مطالب نظرية و أخرى عملية و أول مطلب نظري يرغب فيه الذهن هو التبسيط ، إنه ينزع بطبعه إلى البساطة ، و يميل إلى رد المعقد

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص43.

<sup>2</sup> - نفسه، ص43-44.

\* عنوان المقال (ميل الإنسان إلى التفكير الفلسفي) Sentiment of Rationality و نشرت لأول مرة في مجلة Mind في يوليو 1879 و رأى النقاد أنه كان يمكن جعل عنوانها «دوافع التفلسف» عند جيمس و هي إحدى فصول «إرادة الإعتقاد» فيما بعد.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص 57 ، 58.

إلى البسيط ، و الكثير إلى الواحد لأن النتيجة المبسطة موفرة للجهد الذهني ، و الرغبة في الاقتصاد في وسائل التفكير رغبة فلسفية أكيدة إذ يشعر الإنسان برضى و ارتياح حين يدرك أن مجموعة من وقائع متباينة فيما بينهما يمكن ردها إلى وقفة واحدة.<sup>1</sup>

ففي هذا المطلب أجد البساطة في الفكر فالذهن يريد تبسيط و تسهيل كل ما هو معقد و تقليص الكثير إلى الواحد فإنطلاقا من هذه الأمور البسيطة السهلة يرتاح الإنسان حين يعلم أن مجموعة من الوقائع يمكن جعلها واقعة واحدة.

و ثاني المطالب النظرية التي يرغب فيها الذهن هو الرغبة في التمييز و يقصد بها جيمس رغبة الإنسان في معرفة الأجزاء و التفاصيل و عدم الإكتفاء بالإدراك العقلي للكل و فهم الأشياء فهما معمما ، و يرى أن معرفة الجزئيات و التفاصيل أهم من معرفة الأشياء معرفة عامة و إدماجها في أنواع أو أجناس و مظاهر هذه الرغبة في التميز هي الإخلاص و توضيح الإدراك الحسي توضيحا يبرز معالمه و تفضيلاته و كراهيته للمجمل و المشوش و التشابه الغامض<sup>2</sup> .

إن البساطة من جهة و الوضوح من جهة أخرى مطلبان أساسيان للفكر فيما يرى وليام جيمس . و ينتقل من هذه الخطوة إلى حكم عام أن أية فلسفة تتكرر أحد المطلبين أو كليهما أو تعطي لأحدهما مرتبة أعلى من الآخر فلسفة غير مقبولة ، و يدل على ذلك بفلسفة سبينوزا و هيوم. رأى جيمس أن سر إهمال الناس لفلسفة سبينوزا أنه إهتم بالوحدة المطلقة دون غيرها فلم يراع الجزئيا و لا التفاصيل و إنما رد كل الأشياء المادية إلى بدأواحد مطلق يفسرها ، و سر إهمال الناس لفلسفة هيوم هو إهتمامه الشديد لكثرة المطلقة و الإنفصال المطلق بين الأشياء<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويضة : وليام جيمس، ص 58.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص 58 ، 59.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص 59.

يرى جيمس أن معرفتنا للأشياء معرفة صحيحة قائمة على مقدار التنبؤ بنتائج تلك الأشياء ، إن لعلاقة الشيء بنتائجه قيمة كبرى و لذا أن تتخذ إرتباط المدرك بنتائجه المستقبلية قاعدة فلسفية ، و يتابع جيمس بحثه فيقول إن حب الإستطلاع الفطري فينا هو الذي يحفزنا إلى الوصول إلى نتائج الأشياء و آثارها فإذا ما وصلنا إليها لإستراح العقل و إطمأنت النفس و أحس الفرد بالأمان و الإقتناع بما وصل إليه ، كأن أول مطلب عملي- عند جيمس- هو الرغبة في الوصول إلى توقعات محددة للأشياء و أما إذا لم تحقق هذه الرغبة و ظل المستقبل غامضا عاش الفرد في قلق<sup>1</sup>.

ما قد يهم من فلسفة وليم جيمس هو إنعدام الثقة من المطالب النظرية للإنسان و الإتجاه نحو المطالب العملية بهذا فهو يربط الأشياء بالنتائج لهذا فهو يتحدث عن معرفتنا للأشياء فإذا وصلنا إلى نتائج و آثار أحس الفرد بالإطمئنان واستراح عقله فإذا لم يصل إلى النتائج يحدث العكس.

و لكن مستقبل الوقائع قد يحدد بطرق : منها ما يلائم طبيعتنا و منها ما لا يلائمها ، و الفلسفة الصحيحة هي تلك التي يتحدد المستقبل بحيث ترضي طبيعتنا و الفلسفة الكاذبة هي تلك التي تتجاهل الميول الإنسانية أو التي تنطوي على تعارض بين مستقبل الوقائع و رغباتنا و أمانينا<sup>2</sup>.

ما هذه الطبيعة الإنسانية التي تتردد في كتابات جيمس كثيرا و يمر عليها دون أن يشرحها ؟ يقول جيمس في خاتمة مقاله «ميل الإنسان إلى التفكير الفلسفي» أن في الإنسان ميولا ينبغي أن نحترمها مثل الإستجابة و الأمل و الصبر و الإحتمال و الإعجاب و الإجتهد و المخاطرة و كفاحه ضد الشط و نضاله لليأس و الخوف و الضيق و ميله و سعيه نحو الخير و التفاؤل و البعد عن الشر و ما يؤدي إلى التشاؤم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة : وليم جيمس ، ص60.

<sup>2</sup>- نفسه ، نفس الصفحة.

<sup>3</sup>- نفسه، نفس الصفحة.

الطبيعة التي يتحدث عليها جيمس و التي تتردد في كتبه دون أن يفصل فيها و يشرحها الفلسفة العملية و أن للإنسان ميولات مختلفة التي تعد حوافز له مهما كانت هذه الميولات على الأفراد إحترام ميولات بعضهم البعض و خاصة منها سعيه وراء و نحو الخير و التفاوض.

هذه الفلسفة العملية كما يراها جيمس و تبين أنا ليست و جهة نظر في شؤون الحياة اليومية و إنما الوصول إلى حلول لمشكلات نظرية عن طريق تحليلها جدليا أو إفتراض فروض قبلية مستقلة عن التجربة بل يكون حل المشكلات بمتابعة أثارها المحددة و نتائجها الدقيقة بحيث لو لم يكن للمشكلة و نتيجة أو لحلها أثر في الحياة (النظرية أو العملية) فالمشكلة باطلة . و لقد إستخدم جيمس هذا المنهج و طبقه على نظريات له في المعرفة و الميتافيزيقا<sup>1</sup>.

لقد إستخدم جيمس منهجه البرجماتي لتوضيح مشكلات كثيرة و أهم هذه المشكلات الجوهر الذي يعرضه في كتابه "البرجماتية"

سأبدأ بما هو أكثرها جفافا . و أول ما أتأوله منها سيكون مشكلة الجوهر (المادة) و كل إمرئ يستعمل التميز القديم بين الجوهر و الصفة ، و حين إنه تمييز نحتفظ به في تركيب اللغة ذاتها ، في الفرق بين المسند و المسند إليه ، وفقا لقواعد الصرف و النحو هنا قطعة من القلم الذي يستعمل للكتابة على السبورة إن أصابها ، صفاتها ، خواصها أعراضها العامة أو وجدانها إذا شئت -استعمل أي لفظ يطيب لك- هي البياض و التذرية (قابلية التحول إلى زور) و الشكل الإسطواني و اللاذوبانية في الماء ... إلخ ... إلخ<sup>2</sup>.

هنا جيمس ابتداء الموضوع بمثال سهل مبسط عن الجوهر و سيشرح هذه الفكرة في الفقرة الموالية فأهم مشكلة التي تطرق لها جيمس هي أبرز مشكلة عالجه المنهج البرجماتي .

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة : وليام جيمس ، ص61.

<sup>2</sup>- وليام جيمس : البرجماتية ، ص108.

و لكن حامل هذه الصفات شبيه جدا بالطباشير ، الذي يسمى بناء على ذلك المادة التي تنفطر فيها و على هذا فإن صفات هذا التنفطر تنفطر من مادة الخشب و صفات في مادة الصوف . على أن الطباشير و الخشب و الصوف تبدى ثانيا على الرغم من إختلالها خواص مشتركة ، و على هذا فهي نفسها تحسب كطرز لجوهر أكثر أولية -مادة- صفاتها المميزة هي شغل الحيز و اللاتقادية (إستحالة التدخل ، أي إمكان شغل حيز واحد بجسمين). «و هل يلتقي السيفان و يحك في غمد؟!»<sup>1</sup>.

فقد تبين أن لقطة الكباشير جوهر مختلف وراء البياض و ان لها هي و الخشب و الصوف خواص مشتركة ، و أن لكل مثال صفاته.

و كذلك فإن أفكارنا و مشاعرنا هي وجدانات أو خواص لأرواحنا المتعددة ، التي هي جوهر و لكنها هي الأخرى ليست في حد ذاتها كلياً ، لأنها أيضا حالات أو طرز من جوهر أكثر عمقا :«جوهر الروح»<sup>2</sup> .

و لقد بدا لنا بكل وضوح أن كل ما نعرف عن الطباشير هو البياض و التذرية ... إلخ و كما نعرف عن الخشب هو القابلية للإحترق و التركيب الليفي . و ثمة مجموعة من الصفات هي ما نعرف به كل مادة على حدة ، فهي تكون قيمتها الفورية الوحيدة بالنسبة لخبرتنا الفعلية . و الجوهر في كل حالة يتجلى أو يبدوا عن طريقها و بواسطتها بحيث إننا إذا قطع الإتصال بيننا و بينها فلن يقدر لنا أبدا أن نحس بوجودها ، و إذا شاء الله أن يظل يرسلها إلينا في نظام لا يتغير بحيث يمحو بطريقة إعجازية في خطة معينة الجوهر الذي يدعمها<sup>3</sup>.

ذكر جيمس رأي بركلي ويثي عليه ، يرى جيمس أن بركلي قد إستخدم المنهج البرجماتي بدقة و هو لا يشعر حين عالج الجوهر المادي ، يصر جيمس على أن بركلي لم

<sup>1</sup> - وليام جيمس : البرجماتية ، ص108-109.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص109.

<sup>3</sup> - نفس المصدر ، ص110.

ينكر العالم المادي و إنما ينكر الفكرة المدرسية القائلة بجوهر مادي وراء العالم المحسوس لا سبيل إلى الوصول إليه<sup>1</sup>.

و من ثم فإن نقد بركلي للمادة كان نقدا برجماتيا على الإطلاق . إن المادة تعرف كإحساسات لنا باللون و الشكل و الصلابة و ما شابه ذلك فهذه القيمة الفورية للفظ و الفرق الذي تحدثه المادة بالنسبة إلينا ، بوجودها حقا هو أننا عندئذ نحصل على مثل هذه الأحاسيس ، و بعدم وجودها هو أننا نفتقر إليها . و من ثم فإن هذه الإحساسات هي معناها الوحيد و على هذا فإن بركلي لا ينكر المادة و إنما يخبرنا مما تتألف فحسب إنها إسم صحيح لكل هذا القدر الكبير فحسب ، فيما يتعلق بالإحساسات<sup>2</sup>.

فهنا نجد ان بركلي أنكر وجود الجوهر و قال إننا لا نعرف غير إحساساتنا باللون و الشكل و الصلابة و ما إلى ذلك ، و إن الفرق الموجود بين إذا ما كانت المادة هي ما يتمشى وفقا لكلمة المادة (قيمة فورية تعاملية) حتى جيمس قد رأى أن جواب بركلي أن الأثر العملي هو في هذه الاحاسيس بل إن الإحساسات هي كل معنى المادة.

و لقد طبق لوك ، و فيما بعد هيوم ، نفس النقد البرجماتي على فكرة المادة الروحية او الجوهر الروحي .

و سأقتصر على ذكر معالجة لوك «الوحدة شخصيتنا» فهو يختزل رأس هذه الفكرة إلى قيمتها البرجماتية بالقياس إلى الخبرة . إنها تعني عنده كل هذا القدر الكبير من الوعي أي حقيقة أننا في لحظة ما من حياتنا نتذكر لحظات أخرى و نشعر بها كلها كأجزاء من نفس التاريخ الشخصي الوحيد<sup>3</sup>.

فقد اهتم جيمس بما سماه لوك "الذاتية الشخصية" فهو يرى أن هذه الذاتية الشخصية عند لوك هي "الشعور" حيث قصد بها لوك أننا في أي لحظة من لحظات حياتنا نتذكر لحظات و نشعر بها كأنها جزء من حياتنا.

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة : وليام جيمس ، ص61-62.

<sup>2</sup>- وليام جيمس : المصدر السابق ، ص113-114.

<sup>3</sup>- نفسه ، ص114.

و لقد فسر المذهب العقلي هذا الإستمرار العملي في حياتنا بوحدة جوهر روحنا و لكن لوك يقول :«أفرض أن الله أراد أن يخطف الوعي ، فهل سنكون في وضع أحسن مما كنا ، لأننا ما زلنا نملك مبدأ -الروح» لنفرض أنه ألحق نفس الوعي و أضافه إلى أرواح مختلفة ،فهل يتحتم علينا ، و نحن ندرك أنفسنا ، أن نكون في وضع أسوأ مما كنا عليه بسبب هذه الحقيقة؟

لقد كانت الروح في أيام لوك ، بصفة رئيسية ، شيئاً ينال الثواب او العقاب.<sup>1</sup> فقد يظهر من هذه الفكرة أن العقليون ذلك بوجود جوهر روحي لكن جون لوك رأى أن الذاتية الشخصية ليست غير الشعور بدليل أننا لو فرضنا أن الله أخذ منا شعورنا فهل نستطيع الاحتفاظ بأرواحنا ، لهذا فالذاتية هي الشعور و ليست الجوهر الروحي لهذا فقد أعجب جيمس برأي لوك و إعتقد أنه يفكر و يحل المشاكل برجماتيا.

أنظرو كيف يحافظ لوك على السؤال برجماتيا بمناقشة من وجهة النظر هذه ، إنه يقول «إفرضوا أن شخصا ظن نفسه أنه نفس الروح التي كانت يوما ما ما نسطور\* أوثرستيس، فهل في وسعه أن يظن أعمالهم أعماله أكثر مما يظن أعمال أي رجل آخر قدر له أن يوجد ؟ و لكن دعوه مرة يجد نفه داعيا بأي من أعمال نسطور ، فعندئذ يجد نفسه نفس شخصية نسطور...».

يتبين من قول لوك أنه من يظن إفتراضا نفسه أنه نفس الروح التي كانت في القديم أي متكبرا و معجبا بنفسه و يخالف البقية هل يظن نفسه أنه في وسعه له نفس أعمال الآخرين و يطرح سؤال ثم يجيب أن يدعو من يظن نفسه نسطور داعيا بأي من أعمال نسطور فعندها يجد نفسه نفس هذه الشخصية الغيرة العنيدة.

و يكمل قوله :«... في هذه الوحدة الشخصية يرتكز أساس كل حق و عدالى الثواب و العقاب و قد يكون من المعقول أن يفكر المرء بأنه لا أحد سوف يسأل عما لا يعرف عنه شيئاً و لكنه سيلتقي جزائه و مصيره و وعيه هو الذي بدين أو يغفر ، لنفرض أن رجلا

<sup>1</sup> - وليام جيمس: البرجماتية ، ص114-115.

\* نسطور -نسطور:معنى نظر في لسان العرب (النسطورية) أمة من النصارى يخالفون بقيتهم.

عوقب الآن من أجل ما سبق أن ارتكبه في حياة أخرى ، حيث لا يكون لديه أي وعي مطلقاً بذلك فأى فرق هنالك بين تلك العقوبة و بين أن يخلق تعيساً بائساً؟<sup>1</sup>.

فما يذهب إليه لوك في قوله هو أن وحدتنا الشخصية تتألف فقط من جزئيات محددة برجماتيا فحسب.

إذا حل بركلي و لوك مشكلة الجوهر المادي و الروحي ، و يحل جيمس نفس المشكلة حلا برجماتيا بالطريقة الآتية : عندنا مذهبان : مادي و آخر روحي . و المذهب المادي هو القول بأن القوانين هي التي توجه الأشياء ، و المذهب الروحي هو القول بأن العقل هو الذي يدبر الأشياء و يتحكم في سلوكها ، ثم يتساءل جيمس . ما الاختلاف العملي الذي يطرأ على سلوكنا لو قلنا إن العالم تسييره قوانين عمياء و أرواح عليا<sup>2</sup> ؟

فمن خلال تساءل جيمس يظهر أنه يوجد أساسان قد يضع العالم منها ، أما بالنسبة للمادة عند بركلي خيرة أو صحيحة هكذا و لا أكثر.

لاحظ أن جيمس يجيب عن هذا السؤال مرة على أساس أن عالمنا كامل قد تم صنعه من الأزل ، و مرة على أساس أنه بدأ ناقصاً و لا يزال يكمل نفسه باستمرار<sup>3</sup> .

يقول جيمس إننا إذا نظرنا إلى النتيجة العملية من وراء إعتقادنا بالمادية لا نجد تغييراً عن إعتقادنا بالروحانية على الأساس الأول . و معنى ذلك أنه سواءاً أكان الله علة العالم أو أن الذرات لن تقلل هذا النظام . إن الله يفعل ما تفعله الذرات . إن لم يعط وجوده خلافاً أو تغييراً على مسرح الكون فلن يزداد الكون شرفاً بوجوده كما أنه لن يلحقه ضرر إذا غاب و كانت العلة هي الذرات . إن الله و المادة شيء واحد إذا إعتبرنا نتائج كل منهما على العالم حيث إنه تمام الصنع مكتمل الأجزاء . و بهذه الطريقة يستنتج جيمس أن المادية الروحية شيئاً واحد و لا خلاف بينهما<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - وليم جيمس: البرجماتية، ص115-116.

<sup>2</sup> - كامل محمد محمد عويصة: وليم جيمس ، ص63

<sup>3</sup> - نفسه ، نفس الصفحة.

<sup>4</sup> - نفسه ، ص64.

إذا فالمادة و الله في هذه الحالة تفي بالضبط نفس الشيء ألا و هو "القوة" التي صنعت العالم ككل أي باعتبار نتائجها على العالم حيث إنه مكتمل الأجزاء و تام الصنع و بالتالي المادية و الروحية شيء واحد.

ولكن لنفترض أن العالم الذي نعيش فيه مستقبلاً أي ناقص الخلق و التكوين و أنه يستكمل نفسه باستمرار ، سيكون الخلاف بين المادية و الروحية إذن خلافاً حطيراً ، إن فكرة الله تشير إلى وجود عالم ينطوي على مثل عليا يحققها الخالق على مر الأعوام ، و فد يعارض على جيمس معترض بقوله : و هل نحن محتاجون إلى هذه القيم الخلقية الخالدة؟<sup>1</sup> يجب جيمس: «...بل إنه إحدى الحاجات العميقة في قلوبنا ، قد يقال إن العقل السليم يرى الإهتمام فقط بما أمامنا و لا قيمة عندنا لمصير العالم ، لو قلت ذلك سأقول لك إنك ظلمت الطبيعة البترية... إن الأشياء المطلقة وحدها موضع إهتمام الفيلسوف بل تشعر العقول الكبيرة شعوراً ملحا بها ، إن الإيمان بالمذهب الروحي في أي صورة من صورة يوجهنا نحو عالم الأمل و الرجاء ، بينما تشرق شمس المذهب المادي على محيط من خيبة الأمل»<sup>2</sup>.

هذا أمثل يراه جيمس حلاً لمشكلة الجوهر : حين نتساءل هل وجود العوارض المادية هي كل حقيقة الأشياء أم أن وراء هذه العوارض مبدأً روحياً خفياً ينبغي الاعتقاد بوجوده؟ يجب جيمس بأننا إذا تصورنا أن العالم قد تم صنعه و أننا لا نضيف إليه لا يطرأ عليه ما هو كائن فيه فلا قيمة للسؤال من أساسه إذ لأخلاق في الاعتقاد بوجود جوهر روحي في العالم عن الاعتقاد بعدم وجوده<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويصة: وليام جيمس، ص64.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص64-64.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص65.

المبحث الثاني: الحقيقة عند جيمس

يتناول وليام جيمس الحقيقة انطلاقاً من نزعه التجريبية التي تعتبر السمة المميزة لفلسفته.

ويذهب جيمس إلى أنه في الواقع تعيش الحقيقة في معظمها على نظام الامتحان، فأفكارنا ومعتقداتنا تمر طالما لا يتحداها شيء بالضبط كأوراق النقد تمر أو نتداولها طالما لا يرفضها أحد<sup>1</sup>.

إن الحقيقة صفة أو خاصة لبعض أفكارنا، فهي تعني اتفاقها مع الواقع تماماً، مثلما يعني الباطل اختلافها معه، وكلا البرجماتييين والعقليين يتقبلون هذا التفسير كأمر أكيد ثابت.

إن البرجماتية تسأل سؤالها المألوف، فهي تقول "إذا سلمنا بصحة فكرة أو عقيدة، فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونها صحيحة في الحياة الواقعة الفعلية لأي أمر؟"<sup>2</sup>.

وفي اللحظة التي تسأل فيها البرجماتية هذا السؤال، فإنها ترى الجواب: الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي تستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها وإقامة الدليل عليها، وهذا هو الفرق العملي الذي يحدث لنا إذا كانت لدينا أفكار صحيحة، ومن ثم فهذا هو معنى الحقيقة، لأن ذلك هو كل ما نعرفه عن الحقيقة<sup>3</sup>.

إن حقيقة فكرة ليس خاصة أو صفة كاسدة متوقفة عن التقدم أو النماء، وليدة ذاتها فيما إن الحق يحدث للفكرة، الفكرة تصبح حقيقية أو صحيحة، إن الأحداث تجعلها صحيحة أو حقيقة.

<sup>1</sup> - محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، ص 83.

<sup>2</sup> - وليام جيمس، البرجماتية، ص 351.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 352.

وصدقها هو في الواقع من الأمر، حدث، سبيل، ألا وهو سبيل إثباتها لنفسها، سبيل برهنتها فصدقها أو صحتها أو مشروعيتها هو سبيل ترسيخها وتصحيحها والدفع بمشروعيتها<sup>1</sup>.

لا يعترف وليم جيمس بوجود معرفة أولية في العقل، حيث إن المعرفة مصدرها التجربة، وبناء عليه فالحقيقة لديه ليست مطلقة بل هي نسبية متغيرة بتغير خبرة الإنسان، فالحقيقة مرتبطة بمدى تطبيقها عمليا فالفكرة الصادقة هي الفكرة الناجحة عمليا لخدمة الإنسان في دنيا الخبرة المباشرة ولذلك لا يمكن الحكم على فكرة بالصدق أو بالكذب بشكل منفصل أو متجاوز للتجربة<sup>2</sup>.

فالفكرة الصادقة لا تستمد صدقها من ذاتها ولكن من النتائج التي تؤدي إليها، وعلى ذلك فمعيار صدق الفكرة من عدمه هو النتائج العملية المرتبطة بالإنسان ومتطلباته.

انطلاقاً من هنا يتبين ان الحقيقة عند جيمس تقوم على نوعين: إما أن يكون موضوع الفكرة شيئاً خارجياً، أو منهاجاً عملياً لإرضاء حاجة نفسية، ففي الحالة الأولى الفكرة الحققة عن موضوع ما هي التي تحدونا إلى إتيان أفعال تقودنا إلى إدراك ذلك الموضوع من خلال التجربة.

وفي الحالة الثانية القضية الحققة هي التي يتتبع تسليمها نتائج مرضية أي محققة لمطالبنا، ففي الحالتين ليست الحقيقة تصوراً مطابقاً لشيء ولكنها التصور الذي يؤدي بنا إلى الإحساس بشيء أو إلى تحقيق غرض، وفي الحالتين الخطأ هو الإخفاق.

<sup>1</sup> - وليم جيمس، البرجماتية، ص352.

\* - إمكان البرهنة أو إقامة الدليل، لا تقل عن الإثبات أو البرهنة، لأن في مقابل كل سبيل حقيقة.

<sup>2</sup> - محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية (الفكر البرجماتي نموذجاً)، ص84.

المطلق ليس صحيحا على أي نحو<sup>1</sup>، ينظر وليام جيمس للحقيقة من خلال نتائجها العملية، وبناء عملية يرفض وجود حقيقة مطلقة سرمدية أبدية بل إن الحقيقة لديه متغيرة بتغير خبرة الإنسان<sup>2</sup>.

إن معظم الحرب الدائرة الرحي بين البرجماتيين وأعداء البرجماتيين هي حول ما ستغني كلمة الحقيقة من حيث ما تدل عليه.

والخلاف هو انه عندما يتحدثون البرجماتيون عن الحقيقة فإنهم يعنون، تقردا، شيئا عن الأفكار فقط ألا وهو استخداميتها وتشغيلها في حين ان المضادين للبرجماتية عندما يتحدثون عن الحقيقة، فإنهم في الأغلب على ما يبدو يعنون شيئا عن الأشياء والموضوعات<sup>3</sup>.

يربط جيمس الحقيقة بالمنهج التجريبي العلمي، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إننا نجد الأهمية التي يحظى بها جيمس الحقيقة انطلاقا من أنه يذهب إلى أنه مهتم بمذهب في الفلسفة يطلق عليه اسم ( التجربة الراديكالية)<sup>4</sup>، ويخيل إلى أن إقامة النظرية البرجماتية للحقيقة وإرساء قواعدها هي خطوة في الدرجة الأولى من الأهمية لجعل الراديكالية تسود، إن التجربة الراديكالية تتألف أولا من قضية مسلمة، ثم ثانيا تقرير حقيقة أو واقع، وأخيرا استنتاج معهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - وليام جيمس، البرجماتية، ص357.

<sup>2</sup> - محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، ص85.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص358.

<sup>4</sup> - محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، ص 89،90.

<sup>5</sup> - وليام جيمس، البرجماتية، ص359.

( التجربة الراديكالية)، وفيها يذهب جيمس إلى أننا ندرك بالخبرة المباشرة الأشياء الموجودة في العالم ومن يربطها ببعضها البعض من علاقات، وعلى ذلك فالعلاقات بين الأشياء هي مثل الأشياء نفسها ندركها بالخبرة المباشرة<sup>1</sup>.

وتناولنا الخبرة الراديكالية عند جيمس لنؤكد ارتباط الفلسفة بالمنهج التجريبي وتناقضها مع الاتجاه العقلي الثابت الجازم الأزلي وفي هذا يذهب إلى أن الكون الذي يفهم ويدرك مباشرة لا يحتاج باختصار إلى أي سند غريب من الخارج يتجاوز التجربة ليقوم بدور الرابط حيث أنه يملك في ذاته تركيباً متسلسل الارتباط من حلقات متصلة<sup>2</sup>.

فهنا نجد أن التجربة الراديكالية لا تسمح بأي عنصر غير تجريبي ومختبر ولا إدراك موضوع من غير تجربة، ومن هنا كان اختلاف وليام جيمس مع المذهب العقلي.

وهكذا نجد وبوضوح عند وليام جيمس في تناوله للحقيقة بارزة تماماً، حيث يذهب إلى أن الحقيقة ليس لها فائدة ولا أهمية إن لم تكن في خدمة الإنسان، وبالفعل تميز الإنسان في برجماتية جيمس بمنزلة رفيعة، حيث وضع على عاتقه المسؤولية كاملة، وأنه أي إنسان المسؤول عن التقدم والتخلف بيديه يصنع كل شيء ولا وجود لقوة أخرى بجانبه، وإنما الكلمة الأولى والأخيرة للإنسان، ومن ثم فإن أي حقيقة تؤسس وتقترن وتتاح لمنفعة كل إنسان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الانسانية، ص65.

<sup>2</sup> - نفسه، ص66.

<sup>3</sup> - نفسه، ص90،91.

المبحث الثالث: التجريبية الأصيلة عند جيمس

لم يكن كل جهد وليم جيمس الفلسفي إقامة المنهج البرجماتي والنظرية البرجماتية في الصدق، وإنما كانت له نظرية جديدة أخرى لعلها أكثر أصالة وعمقا وقيمة -هي نظرية التجريبية الأصيلة<sup>1</sup>-، حيث تعتبر نظرية وليم جيمس في التجريبية لأصيلة هي نفسها نظريته في "المعرفة" إلا أنه حاول أن يتجنب استخدام هذا المصطلح كعنوان لعمله، عرض هذه النظرية في كتابين أساسيين هما "مقالات في التجريبية الأصيلة" الذي نشر بعد وفاته (1909) وسجل فيه نظريته في الشعور ونظريته في العلاقات أيضا، وكتاب الكون المتعدد (1909) وسجل فيه نظريته في التعدد وموقفه من الواحدية<sup>2</sup>.

شغل جيمس بصياغة هذه النظرية الجديدة أثناء انشغاله بالمذهب البرجماتي، ورأى انها نظرية مستقلة تماما عن هذا المذهب وأنه لا يعتمد إحداها على الأخرى<sup>3</sup>، يتبين هذا من النص الذي أورده في كتابه "البرجماتية" حيث يقول: "لا توجد رابطة منطقية بين المذهب البرجماتي- كما أفهمه - وبين نظرية سميتها بالتجريبية الأصيلة، إن النظرية الأخيرة تقوم على قدميها، ومن الممكن إنكارها وتظل برجماتيا"<sup>4</sup>.

والملاحظ أن وليم جيمس لم ير كتاب ((مقالات في التجريبية الأصيلة)). كان قد كتب مقالات عديدة في شرح نظريته، ومات قبل أن يخرجها في كتاب، وجاء من بعده تلميذه المخلص الذي عني بنشر كل كتبه وإعادة نشر ما نشر في حياته وتقديمها وشرح كثير من

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص92.

<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص101.

<sup>3</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص92-93.

<sup>4</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص102.

أرائه والدفاع عنه - هو رالف بيري<sup>1</sup> - جاء وجمع بعضا من المقالات كان جيمس قد تركها ورأى أنها تعبر بدقة عن التجريبية المتطرفة ونشرها في كتاب.

ويقول الأستاذ بيري في تقديمه للكتاب: ((... ليس الكتاب مقالات متناثرة، وإنما يمكن اعتباره فصولا تعرض نظرية معينة متماسكة تعبر عن مذهب خاص قصد به إلى طلاب فلسفة جيمس بل طلاب الميتافيزيقا والمعرفة))<sup>2</sup>.

ويمكن تعريف التجريبية الأصلية عند جيمس بأنها مذهب جديد في تفسير العلاقة بين الذات والموضوع، أو بين الشعور من جهة والعالم المادي من جهة أخرى وهي مذهب جديد أيضا في تفسير العلاقات الكائنة بين الوقائع التجريبية يعارض به جيمس المذهب المطلق والمذهب الانجليزي معا<sup>3</sup>.

ليست للتجريبية الأصلية منهجا فحسب وغنما هي فوق ذلك نظرية جديدة في العلاقات. ويوضح جيمس هذا المعنى بدقة شديدة حيث يقول في مقدمة كتابه معنى الصدق: ((... تتركب التجريبية الأصلية من مصادرة، وحقيقة، ونتيجة عامة. أما المصادرة فهي الأشياء التي تكون موضع مناقشة بين الفلاسفة هي الأشياء التي يمكن التعبير عنها بألفاظ تجريبية، أما الحقيقة فهي العلاقات بين الأشياء -سواء منها المتصلة أو المنفصلة- موضع التجربة المباشرة الدقيقة، والنتيجة المعممة هي العلاقات التي تنتقل بها من جزء ما من التجربة إلى جزء آخر منها هي أجزاء من التجربة نفسها))<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - رالف بيري (1876) أحد الفلاسفة الأمريكيين المعاصرين، بدأ حياته الفلسفية بتاريخ حياة وليم جيمس بل أسرة هنري جيمس كلها وتاريخ فلسفتهم ويعتبر كتابه عن جيمس وفلسفته أضخم مؤلف عن جيمس وتربو عدد صفحاته على الألفين، وقد أصبح أحد زعماء (المذهب الواقعي الجديد) Neo-realism منذ سنة (1912) وله مؤلفاته الكبيرة في المعرفة والميتافيزيقا والقيم.

<sup>2</sup> - كامل محمد عويضة، وليم جيمس، ص 93.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 94.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 95-96.

إن الاتصال وثيق إذن بين التجريبية الأصيلة والمذهب البرجماتي: فكلاهما منكر للتأمل والتجريد اللذين هما دلالات الغموض في نظر جيمس، هناك ما يحقق الصلة بينهما أكثر مما سبق وهو أن الحقيقة والنتيجة المعممة في التجريبية الأصيلة جوهر نظرية الصدق البرجماتي<sup>1</sup>.

### الدافع إلى التجريبية الأصيلة:

السبب الذي دفع بجيمس إلى الخروج على المذهب العقلي، والتجريبي العادي في العلاقات<sup>2</sup> كان دافع وليم جيمس الذي سيطر عليه لفترة طويلة هو تفكيره في مشكلة الواحد والكثير، هل تعتبر الكون بما فيه من جزئيات ووقائع مستقل بعضهما عن بعض شيئاً واحداً؟ أو واقعة واحدة على نحو ما رأى أهل الدين حين قالوا بقوة روحية تؤلف بين الأجزاء، المنفصلة، أو كما رأى أتباع المطلق حين نادوا بأن الكون يعبر عن شيء واحد وإن أجزائه مرتبطة ارتباطاً ضرورياً<sup>3</sup>.

أم أن الكون هو كما يبدو جواهر مستقل بعضها عن بعض ووقائع منفصلة انفصالاً حقيقياً، تسمى هذه المشكلة بالوحدة والتعدد ويقال إن المذاهب العقلية مذاهب واحدية Monism، والمذاهب التجريبية مذاهب تعددية Pluralism<sup>4</sup>.

وحيثما تعرض جيمس لهذه المشكلة في بداية حياته الفلسفية توصل من تحليله لها للاعتقاد في التعدد والاتجاه نحو التكثر وعندما صاغ نظريته في العلاقات من خلال تجربيته الأصيلة غير رأيه بعض الشيء فأنكر موقف التعددية بمعناها المعاصر له ووقف

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويضة، وليم جيمس ، ص96.

<sup>2</sup> - نفسه، ص97.

<sup>3</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص103.

<sup>4</sup> - كامل محمد محمد عويضة، وليم جيمس، ص97.

موقفا وسطا بين الواحدية والتعددية أو أقل بين النزعة العقلية بسماها المعروفة، وبين النزعة التجريبية بسماها المعروفة أيضا<sup>1</sup>.

إن بحث جيمس في الوحدة والكثرة أدى به إلى البحث في الوقائع والحوادث والتجارب وأدى به ذلك إلى نتيجة مؤداها انه افتراض أن العالم تعددي لكنه يسعى سعيا حثيثا نحو الوحدة، وأصبحت النظرية التعددية الخاصة بوليم جيمس أساسا لأبحاثه في البرجماتية خاصة في موضوعي الدين والأخلاق<sup>2</sup>.

إن التجريبية الأصيلة إنن جواب جيمس عن الوحدة والكثرة وسماها تجريبية ليعارض بها فلسفة المطلق، وسماها أصيلة ليميزها من التجريبية الإنجليزية العادية مثل تجريبية لوك وهيوم ومل وغيرهم.

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص 103.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 104.

المبحث الرابع: الدين عند جيمس

لم يدرس وليام جيمس الظواهر الدينية من ناحية واحدة، وهي ناحية علم النفس لأنه كان مختصاً بهذا العلم، بل لأنه كان يرى في الدين الشخصي أساس الدين.<sup>1</sup> الأساس الذي اتخذهُ وليام جيمس في تبرير العقيدة الدينية، وفي تقرير وجود جوانب خفية في الطبيعة الإنسانية، وتقرير وجود الله وصلتنا به، أساس يعتمد على الذاتية إلى حد كبير.<sup>2</sup>

دفع جيمس إلى أبحاثه في الدين عوامل كثيرة أذكر منها تربيته الدينية، وممارسته للأبحاث النفسانية (Recherches Sychical) في أثناء انشغاله بالتنويم المغنطيسي ودراسة السيكولوجية لحالات مرضية، فقد أوحى له هذه الأبحاث بنتائج تجريبية تتعلق بالنواحي الخفية للشعور الإنساني، ومن دوافع جيمس أيضاً للبحث الديني تأثره بالمذهب (الهيغلي الجديد).<sup>3</sup>

أما المنهج الذي سار عليه فهو في نظره ذلك الذي يتلاءم مع علم النفس بمعنى الكلمة والذي يمكن أن نسميه بالتجريبية المتطرفة. وهذا الاصطلاح الذي يستخدمه نفس القوم الذين ينكرون المذهب للدلالة على منهج . ولقد ساد المذهب الذري علم النفس زمناً طويلاً.<sup>4</sup>

طبيعة التجربة الدينية:

تدفعنا الملاحظة السطحية إلى اعتقاد في وجود ثغرات لا يمكن اجتيازها ولا نشذ الظواهر الدينية عن هذا القانون الخاص بالاتصال، لأنها تنتمي إلى صنف من الظواهر محددة أكثر فأكثر يعني الظواهر الخاصة بالتغييرات التي تلحق الشخصية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 241.

<sup>2</sup> - كامل محمد عويضة: وليام جيمس، ص 109.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 109 - 110.

<sup>4</sup> - إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 241.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 242.

ودراسة هذه الظواهر عند من تحدث فيهم بشكل أعمق، كما هي الحال في العصبيين أو أصحاب الأمزجة الصوفية، تكشف لنا عن الخصائص التي تكون الأساس الذي ينمو فيه الضمير الديني، وكان هذه الخصائص تنتمي إلى الطبيعة البشرية بوجه عام.<sup>1</sup>

فالهلوسة مثلا تحدث عند بعض الناس حالة شديدة الغرابة إذ بدلا من أن تبلغ الهلوسة مداها في النمو الذي يتجلى في ظهور شيء محسوس في مخيلة الشخص، وهذا الشيء شبيه بما تطلعنا عليه الحواس تقف عند موحلة يشعر فيها الشخص بإحساس وجود البحث يولد الإيمان ، ويحدد هذا الإيمان الأفعال.<sup>2</sup>

وبعض الصوفية يجربون أحوالا شبيهة بذلك فهم يرون شيئا كأنه الذات الإلهية، دون أن يكون لديهم عنه أي تمثّل، ولكنه يعطي لهم كأنه واقع، ويؤثر في قلوبهم وإرادتهم وإحساسهم بهذه الحقيقة وهذا الفعل يكون عندهم أقوى ما يكون كلما تصورا هذا الشيء كأنه حقيقة خالصة عارية عن كل صورة حسية.<sup>3</sup>

في الأحوال الصوفية يشعر الشخص باتصاله بالله كما يشعر بانتقال مركز نشاطه الشخصي كنتيجة لهذا الاتصال، ولا يمكن مع ذلك أن تعتبر الأحوال الصوفية انحرافات للانفعال الديني.<sup>4</sup>

### قيمة التجربة الدينية:

ليس من المناسب استبعاد قيمة الشعور الديني كأنها مسألة فات زمانها وإلى أي حد تسوغ الاعتقادات أمام العقل. وهذه مسألة يعالجها وليام جيمس من الوجهة البراغماتية فيقول:

<sup>1</sup> - إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 242.

<sup>2</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 242 - 243.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 246.

هناك نوعان من الأحكام: الوجودية أو التي لها أصول، والأحكام الروحية أو الأحكام القيمة ولا يمت الضرب الثاني من الأحكام إلى الضرب الأول بصلة ما.

ومن أين تأتي الفكرة إذا كانت مما تؤديها الوقائع، وكان الانفعال خصبا وجيزا.<sup>1</sup>

ففي هذه الفكرة نجد تمركز البرجماتية بمعنى أن الدين له أحكام وهذه الأحكام تؤديها الوقائع ومن خلال هذا يتبين ما يعطيه من نتائج.

إن اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين، لأن قيمته فيما ينتجه، فالحكم على الشجرة عند وليام جيمس من ثمارها، بحسب ما جاء في الإنجيل، ولذلك سيبحث عن آثار الانفعال الديني، وهل هذه الآثار حسنة تحقق الأمل؟ وهل يمكن الحصول عليها بطريق آخر خلاف الدين؟<sup>2</sup>

القدسية ومكانتها عند جيمس نجده يذهب إلى " أن الاسم العام لثمار الدين الناضجة هي القدسية الشخصية القدسية هي الشخصية التي من أجلها تكون العواطف الروحانية المركز الاعتيادي للطاقة الشخصية وتوجد صورة مركبة ومعينة للقدسية عامة لا تتغير في الأديان".<sup>3</sup>

فالثمرة التي يتحدث عليها جيمس هي القداسة حيث تعتبر ثمرة الحياة.

بما أننا بصدد الحديث عن القداسة، نجد جيمس يحملها في أربعة صفات هي:

- 1- الشعور بكونك في حياة أرحب من حياة اهتمامات هذا العالم القليلة والذنيئة.
- 2- الشعور بالاستمرارية الحميمة للقوى المثلى في حياتنا الخاصة والاستسلام الذاتي التلقائي لسيطرتها.

<sup>1</sup> - إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 246.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 247.

<sup>3</sup> - محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والنزعة الإنسانية (الفكر البرجماتي نموذجاً)، ص 163.

3- زوال العجب بالنفس لدرجة كبيرة والحرية باعتبارها حدود الأناية المفيدة.

4- تحريك المركز العاطفي نحو الحب والمشاعر المنسجمة نحو الإيجاب وبعيدا عن السلب.<sup>1</sup>

جيمس إنسانا رقيقا عطوفا يمتلئ قلبه بحب الإنسانية، وتناوله للقداسة وتعاطفه معها مما يجد فيها من صدى لديه، وما يريد أن يرى عليه العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع علاقة يسودها الحب والأمن والسلام والأجدر بالقيام بهذه المهمة خير قيام هو القديس، والقديس من بين كل هؤلاء الناس يظهر أن الكمال من الممكن تحقيقه.<sup>2</sup>

لا يتناقض إميل بوترو ومع ما يذهب إليه وليام جيمس من أن القديسين يؤدون إلى الانسجام والسلوك الخير داخل المجتمع، قد يعاملوا بازدراء واستتكار، ولكن ذلك لا يمنع أنهم يمثلون الخيرية المحضة التي تنعكس على الأفراد داخل المجتمع، وفي ذلك يذهب بوترو إلى أنه قد لا يتلاءم القديسون بما يتمسكون به من مثال في المحبة والسلام مع الجماعة التي يعيشون فيها ولكن ما الذي نستخلصه من ذلك؟ أهو القديس أم المتوحش الذي يشخص المثال الأعلى الإنساني؟ فإذا كان القديس متنافرا مع زمانه فإنما ذلك لأنه يتقدم ببذل المجهود في الملائمة مع مجتمع أكمل يساهم في تحقيقه حين يفترض وجوده.<sup>3</sup>

للإنسان حق مشروع في أن يعتقد بأمور الدين:

أ- الإيمان عنصر في الطبيعة البشرية:

يتساءل جيمس: هل البحث في الدين أمر مشروع؟ وهل للإنسان حق في اعتناق

معتقدات دينية؟

<sup>1</sup> - محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والنزعة الإنسانية، ص 163.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 166.

<sup>3</sup> - إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 247 - 248.

يجيب جيمس بالإيجاب: للإنسان حق مشروع في الاعتقاد، بل الإيمان عنصر أساسي من عناصر الطبيعة البشرية، ويعرف الإيمان بأنه الاعتقاد بشيء يمكن أن نشك في وجوده من الناحية النظرية البحتة، ومن ينكر الذهن أو وجود شيء أو يتشكك فيه لا يقوم ذلك دليلاً على أنه غير موجود، لأن الذهن ليس كل شيء في الطبيعة البشرية، في هذه الطبيعة ذهن ووجدان وإرادة.<sup>1</sup>

يذهب وليام جيمس أن الذهن ليس الأساس الوحيد في اختيار صحة موضوع أو ما أو كذبة وإنما هناك أسس أخرى والتي أذكر أهمها الرغبة والعاطفة والوجدان، فإذا لم نصل إلى تحقيق فرض ما عن طريق الذهن أو عن طريق التبرير الذهني، فهنا لا نذكر الموضوع ولكن نبحث عن معيار آخر للبحث فيه.

ويرى جيمس أن للسلوك دافعين: فإما يكون الدافع هو طبيعتنا الغريزية والإرادة، أو أن يكون الدافع هو الذهن، ويدافع عن الدافع الأول وقيمه في تقرير الاعتقاد الديني، ويصوغ جيمس نظريته هذه فيقول: "نظريتي أنه يجب أن يكون لرغبتنا الحق المشروع في تقرير الاختيار بين القضايا حين لا يمكن تقريره على الأساس الذهني" ذلك لأنه حين نقول: (لا تقرر حينئذ شيئاً، بل أترك المسألة مفتوحة). فإنك تقرر قراراً عاطفياً هو الآخر.

### ب- الإيمان فرض نافع:

يرى جيمس أن الإيمان استعداد للسلوك، وبمعنى آخر يرى أنه فرض نافع ولبيان ذلك عند جيمس أقول إنه كان يسمى أي شيء تقترحه ليكون جزءاً من عقائدنا يسميه فرضاً، والفرض عنده نوعان: فرض حي وفرض ميت والفرض الحي هو ذلك الذي يمكن قبوله والسلوك وفقاً له بالنسبة للمقترح، أما الفرض الميت فهو الفرض الذي ليس له أثر على

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة: وليام جيمس، ص 110 - 111.

سلوك الفرد. وليست الحياة أو الموت صفتين في الفرض نفسه، وإنما هما صفتان ذاتيتان في المفكر ذاته.<sup>1</sup>

ج-الإيمان يحقق نفسه بنفسه:

يخطو جيمس خطوة جريئة حين يعلن أن الإيمان يحقق نفسه بنفسه، ويقصد بذلك " أن الرغبة في شيء ما تخلق وجود ذلك الشيء، وأن الرغبة في حقيقة معينة معناها وجود لهذه الحقيقة. وأن الاعتقاد في واقعة ما يساعد على خلق هذه الواقعة".<sup>2</sup>

بمعنى أن الرغبة تخلق وجود الأشياء وهي المعنى لأن الإيمان يحقق نفسه بنفسه، وأن الوجدان والرغبة هما مصدرا تثبيت العقيدة الدينية.

إن الفكرة البرجماتية الأساسية- عند جيمس ومن بعده- هي أن الاعتقاد صحيح بقدر ما يدفع إلى سلوك، أو أن الاعتقاد صادق إن كان السلوك الناتج مطابقا له. ويصوغ جيمس هذه القاعدة على طريقته الخاصة فيقول إن أية فكرة- لكي تكون صادقة- ينبغي أن يصاحبها اعتقاد شخص فيها، وذلك شرط أساسي فيها، وذلك لأن النجاح يتوقف على طاقة الفعل وتتوقف الطاقة بدورها على إيمان منا بأننا لن نفشل، ويتوقف هذا الإيمان بدوره على إيماننا بأننا على حق.<sup>3</sup>

نجد الدين عند جيمس أنه أقامه على التجربة، فحاول أن يثبت أن اعتناق الدين والإيمان بالله حق، لأنه يتحول عند المؤمن إلى سلوك ناجح لحياته، فالإيمان يساعد صاحبه على احتمال الكوارث ويجعله أقدر على الصبر والعمل، بعكس الإلحاد الذي يدفع بصاحبه إلى الانتحار إذا أصابته كارثة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة: وليام جيمس، ص 112.

<sup>2</sup>- نفسه، ص 113.

<sup>3</sup>- نفسه، ص 114.

<sup>4</sup>- توفيق الطويل: الفلسفة الحديثة، ص 276.

وجاء بعده جون ديوي الذي اعتبر الأفكار والمثل العليا والمبادئ مجرد وسائل وذرائع يستعين بها الإنسان فيتوجه سلوكه إلى حيث تتحقق مطالبه وغاياته.<sup>1</sup>  
أما بالنسبة لعلم الدين فيمكن حصر هذا العلم في العناصر التالية: مقدمات العلم، أسسه، الصلاة

#### أ- مقدمات علم الدين : يضع جيمس مقدمتين :

1- الرغبة في إثبات الأفكار العامة المشتركة في كل الأديان بلا استثناء و استبعاد الأفكار الموجودة في دين و الساقطة في دين آخر حتى لا نتهم بالتناقض و التقليل من محتوى علم الدين و جعل عناصره اقل عدد ممكن لكي نخلصها من التطرفات الفردية و نتيجة ذلك أننا نستبعد ما في الأديان من أساطير و خرافات و عقائد متحجرة جامدة dogmas.<sup>2</sup>

فيضع جيمس هذه المقدمة و ذلك رغبتا في إثبات الأفكار المشتركة في كل الأديان بلا استثناء و أيضا إبعاد ما يوقعنا في التناقض أي الابتعاد عن الأفكار الموجودة في دين ما و الساقطة في دين آخر و أهم ما تظهره هذه المقدمة هو ابتعاد الخرافات.

2- إتباع منهج استقرائي بحت أي جعل التجارب الدينية المباشرة و الوقائع الصوفية مادة بحثنا و استخلاص نتائج منها، و نعممها، و نستخرج ما بينها من خصائص عامة.<sup>3</sup>  
فالمنهج المتبع يجب جعل كل التجارب الدينية هي المبدأ الأولي الذي نعتمد عليه في بحثنا و استخراج نتائج منها و بالتالي نعممها و نستخرج كل الخصائص العامة فيما بينها.

#### ب- أسس علم الدين : يضع جيمس أساسين:

1- الأساس الوجداني : نادى وليم جيمس -كعالم سيكولوجي- أن إحدى وسيلتين

تحدد سلوك الفرد : إما فكر أو وجدان قد يدفع الفكر إلى السلوك تارة و قد يدفع

<sup>1</sup> - توفيق الطويل: الفلسفة الحديثة، ص 276.

<sup>2</sup> - كامل محمد محمد عويضة : وليام جيمس ، ص156.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص156.

الوجدان إليه تارة أخرى و يوجه جيمس انتباهه إلى بعض المذاهب الدينية فيرى أن المذهب الرواقي و الديانتين البوذية و المسيحية تتميز جميعا بأثر الوجدان كموجه للسلوك الديني ، و يخلص من هذه الملاحظة إلى أن تاريخ الأديان يدلنا على اثر الوجدان لا الفكر في تدعيم العقائد.<sup>1</sup>

فالمحدد الأساسي لسلوك الفرد إما الفكر أو الوجدان فإذا لم يكن الفكر هو الذي يدفع إلى السلوك سيكون الوجدان هو المحدد للسلوك الفردي كما أعطى جيمس ابرز مثال عن المذهب الرواقي و الديانتين البوذية و المسيحية تتميز جميعا الموجه فيها للسلوك هو الوجدان أي (السلوك الديني) و يعطي لنا خلاصة مفادها انه في القديم كان الوجدان الغالب على الفكر في الأديان.

و يقصد جيمس بالوجدان أن الإنسان يجد من طبيعته البشرية دافعا إلى الاعتقاد بالدين ، مقصد جيمس من الطبيعة البشرية هما هو اعتقاده بوجود مجالات خفية من شعورنا متصلة و مرتبطة بعالم غير منظور ، إن جيمس يقصد دلالة أخرى للوجدان -كأساس في إقرار العقيدة- هي أن اثر الاعتقاد بالدين هو حصول صاحبه على السعادة و التفاؤل و الأمل في حياته الراهنة يشعر الإنسان بحاجته الملحة للدين لأنه ينتج هذه الآثار التي يراها جيمس لازمة لتعيينه على حياته الأرضية و قد نتجت هذه النتائج من وراء الاعتقاد بعالم منظور كله خير و سعة.<sup>2</sup>

لا يهم جيمس أن هذا الأساس للدين يدعمه العقل أولا يدعمه ، و لكنه يؤيد علما يتحقق فيه التفاؤل و الأمل و تزداد خبرات الشخص فيه ، وجد جيمس هذا العالم حيث نعتقد بالدين ، و لقد قلت إن ما يقوله جيمس يرويه على سبيل الفرض ، و ذلك لأنه يعلم أن الإيمان بالدين

<sup>1</sup>- كامل محمد عويضة : وليم جيمس ، ص 157.

<sup>2</sup>- نفسه ، ص 157-158.

شيء ذاتي قد ينفع و قد لا ينفع : اعتقد على مسؤوليتك الخاصة فان وجدت نتائجه ملائمة لحياة خلقية ناجحة كان الدين حقيقة صحيحة و إن كان العكس فاتركه <sup>1</sup>

- فجيمس يريد أن يتحقق التفاؤل و الأمل في العالم و ذلك من خلال الدين و لكنه ارجع الدين إلى الذاتية و بذلك أصبح ينفع و قد لا ينفع ، وقد وضح أن كانت نتائج الدين نافعة و ملائمة لحياة خلقية ناجحة فقد يكون الدين صحيح و إن لم يكن صحيح يجب تركه و هنا جيمس يربط الدين بالمنفعة أي فيما ينتجه من منافع.

و يستعير جيمس قضيته من دكتور لوبا حين يقول « الله غير معروف و غير مفهوم و لكنه مستخدم "في حياتنا" ، أننا نستخدمه أحيانا كواهب الطعام لنا ، ونستخدمه أحيانا كسند لنا في الأخلاق ، و كصديق ، أو موضوع للحب ، فإذا برهن الدين على انه نافع لنا فان الشعور الديني لن يسأل عن شيء بعد ذلك : هو هل موجود؟ و كيف يوجد؟ و ما هو ؟ هذه الأسئلة لا جدوى فيها لا نطلب بالله و إنما نطلب الحياة و الحياة الواسعة المثمرة المرضية » <sup>2</sup>.

فقد ربط لوبا أيضا الله و الدين بالمنفعة بقوله مستخدم في حياتنا و بالتالي إذ إن كان للدين نتائج نافعة و مرضية فالشعور الديني لن يسأل و لن يبحث في الأسئلة المطروحة حول الله إذا كان موجود؟ و كيف يوجد ؟ و كما متبين في قول الدكتور لوبا أن هذه الأسئلة لا جدوى فيها لا نطلب بالله و إنما نطلب الحياة الواسعة.

2- الأساس الذهني : يرى جيمس أن للذهن وظيفته الثانية بعد الوجدان في ترتيب

العقائد و تنظيمها و إذا كان لعلم الدين أساس ذهني فانه ذلك الذي يجعله علما موضوعيا إلى حد كبير . يتساءل جيمس : «هل يوجد شيء عام مشترك في الدين تؤيده شهادة اجماعية ؟ و يجيب : نعم يوجد شيآن مشتركان في كل الأديان على اختلافهما هما : قلق و اضطراب و التخلص منه و القلق إحساس بان في

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة : وليام جيمس، ص158.

<sup>2</sup> - نفسه : نفس الصفحة .

طبيعتنا شيئاً خاطئاً و التخلص منه إحساس بأننا قد ننفذ أنفسنا من هذه الخطيئة بإيجاد رباط قوي مع قوى عليا<sup>1</sup>.

لكي افصل هذه الفكرة عند جيمس أولاً أن جيمس هاجم الأديان السماوية في قولها و إعلانها أن الشر و الخطيئة عنصر موجود و أساسي في الإنسان و إن الإنسان بعلمه يكفر عنها لكي ينظر منها و المذكور في هذه الفقرة انه يوجد نزعة تشاؤم قد حاول جيمس يتخلص منها أو يستبدلها بالتفاؤل.

اعتقد جيمس -حسب هذا النص- انه بالإنسان عنصرين : عنصر خاطئ و عنصر طيب ،إن الإنسان يعاني خطأ في نفسه و يحاول أن يتغلب عليه و إذا حاولت أن أسأل جيمس عن هذه دلالة هذا الخطأ هل هو خطيئة ادم حين عصى ربه و خرج من الجنة أم هو الشعور بالإثم الذي توارثناه عن الآباء و الأجداد فإنني لا أجد بيانا عند جيمس يظهر أن جيمس أخذ الفكرة عن الأستاذ لوبا Leuba الذي رد المظهر الإلهي للحياة الدينية إلى المظهر الخلقي لهذه الحياة.<sup>2</sup>

لقد تأثر جيمس في رأيه في طبيعة الإنسان بمفكر آخر اعتقد أن في عقل المتدين شيئين:

أ- شعوره بالنقص و الخطأ و الإثم ، و شغفه بالهروب منه.

ب- مثل أعلى يود الوصول إليه و الشعور بالإثم جزء واضح من شعورنا أكثر من

تخيل المثل الذي قد هدف إليه. هذان مصدران تأثر بهما جيمس في رأيه في

الأساس الذهني للدين ، رأى أن يضيف إليهما جديدا ، ماذا قال ؟ قال جيمس إن

الدين كائن في مكافحة الإنسان لعنصر الشر الذي فيه و لن يتم ذلك إلا باستغلال

العنصر الطيب الذي فيه و أداء هذا العنصر وظيفته.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - كامل محمد عويضة: وليام جيمس، ص 158-159.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص 159-160.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 158-159.

ج- الصلاة :

يبقى شيء أخيرا يصل إليه جيمس في علم الدين ، و هو كيف تتحقق الصلة بين الإنسان و الله ؟ فجوابه أن الصلة تتحقق عن طريق الصلاة .

- يعتقد جيمس أن الصلاة حلقة الاتصال بين الله و الإنسان ، بل الصلاة ماهية الدين الصحيح و لا يعني جيمس بالصلاة صلوات الدعاء بل يرى أن صلاة الدعاء نوع واحد من أنواع الصلوات «إن الصلاة نوع من العلاقة الداخلية أو المحادثة الباطنية مع قوة مقدسة» و تتكون الصلاة عند جيمس من الشعور بالإيجاب :«إننا بالصلاة نرى قوى متطورة و نرى أثرها في حياتنا ،حقا كل هذا شيء ذاتي و لكن لا تنس أن الدين يجب أن يقوم أو يزول بالافتناع بأن أثارا من نوع ما تحدث فعلا»<sup>1</sup>.

و في الواقع إن الإنسان يتضمن في كيانه و طاقات عظيمة لا يستخدم منها عادة إلا جزءا صغيرا ، يقول وليم جيمس :«إذا قسمنا أنفسنا إلى ما يجب أن تكون عليه ، يتضح لنا أننا أنصاف أحياء، فإننا لا نستخدم جانبا يسيرا من مواردنا الجسمانية و الذهنية ، أو بمعنى آخر إن الفرد منا يعيش في حدود ضيقة يصطنعها داخل حدود الحقيقة ، إنه يمتلك قوى كثيرة مختلفة ، و لكنه عادة لا يفتن إليها أو يخفق في استخدامها»<sup>2</sup> .

لهذا فما تحدثه الصلاة من شعور بأمن و التخلص من القلق تساعد الإنسان من التحرر و التخلص من القيود التي كانت تحجز طاقته النفسية التي كانت محجوزة في أغلال القلق و بالتالي يشعر الإنسان بنوع من النشاط و الحيوية في كيانه و تنبعث فيه طاقة روحية تجدد الأمل فيه و تقوي عزمه و تمكنه من تحمل الصعاب و القيام بمختلف الأعمال لهذا جيمس من خلال قوله أنه يوجد جانب في الإنسان داخل حدود ضيقة و أنها حبيسة و لكنه لا يفتن إليها و لا يجيد إستعمالها.

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة : وليم جيمس ، ص166.

<sup>2</sup>- محمد عثمان نجاتب : القرآن و علم النفس ، ط1 ، دار الشروق ، 1421هـ ، ص290.

و لعل إتصال الإنسان الروحي بربه أثناء الصلاة ، و تقبله منه تعالى نوعا من الفيض الإلهي أو القبس الروحاني إنما يطلق فيه طاقاته الروحية الكامنة ، فيشدد عزمه ، و تقوى إرادته ، وتعلو همته ، فيصبح أكثر استعدادا لقبول العلم و المعرفة ، و أكثر قدرة على القيام بجليل الأعمال . و قد لاحظ الطبيب الفرنسي "ألكسيس كاريل" أن الصلاة تحدث نشاطا روحيا معيناً يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض الأمراض في أماكن الحج و العبادات.<sup>1</sup>

إذا فالإتصال الروحي بالله وقت الصلاة يبعث قوى لعزم الإنسان و أيضا تقوي إرادته و يصبح أكثر نشاطا لاستقبال كل ما يتعلق بالمعرفة و العلم ، لهذا فإن بمجرد التوجه إلى الله تعالى بالدعاء و أمل الإنسان في استجابة الله تعالى له يؤدي عن طريق الإيجاد الذاتي بإحتمال إستجابة الله تعالى لدعائه و إلى تخفيف حدة قلقه و تزداد قدرته على العمل و الإنتاج.

و قد رد "سيرل بيرت" عالم النفس الانجليزي فيما بعد رأي "وليم جيمس" في تأثير الصلاة فقال إننا بالصلاة نستطيع أن «نلج باب ذخيرة كبيرة من النشاط العقلي لا نستطيع إليها وصولاً في الظروف العادية ، ولقد كانت هذه واحد من أشهر علماء النفس ... وليم جيمس»<sup>2</sup>.

و يظهر أن جيمس تأثر في قيمة الصلاة بمفكر ديني نشر كتابا له في عصره و يستهدف جيمس ببعض فقرات منه ، يقول المفكر الفرنسي «الدين محادثة أو علاقة إرادية مشعور بها بين روح ما و قوة غامضة يشعر فيها الإنسان أن يعتمد عليها و أن مصيره مرتبط بها ، و تتحقق هذه الصلة بالله عن طريق الصلاة إن الصلاة هي الدين العملي أي أنها الديانة الحقيقية»<sup>3</sup>

لهذا فالصلاة حركة تقوم بها الروح و تضع نفسها في علاقة شخصية مع قوة غامضة تشعر الروح بوجودها فإذا تركنا الصلاة و حرمانا منها سنحرم من الدين.

<sup>1</sup> - محمد عثمان نجائب : القرآن و علم النفس ، ص 290.

<sup>2</sup> - نفسه ، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> - محمد كامل عويضة: وليام جيمس، ص 166-167.

المبحث الخامس: الأخلاق عند جيمس

لقد حاول البرجماتيون تفسير الأخلاق تفسيراً يتفق مع وجهة نظرهم العامة ورفضهم شطر الفكر والحقيقة إلى شطرين متناقضين كما رفضوا التقسيم التقليدي في المنطق بين الصورة والمادي أو بين الفكر والأداء، ومن هم فقد ربطوا الأخلاق بالحياة وظروفها الواقعية وما تحققه من نفع للإنسان.

وأما بالنسبة للأخلاق عند جيمس فهي تتمثل في عناصر ثلاثة هي: الإلزام الخلفي، التفاؤل الخلفي، وحرية الإرادة الإنسانية فهذه العناصر الثلاثة تمثل رأيه في الأخلاق.<sup>1</sup>

فهنا يتبين من العناصر التي تشكل الأخلاق بأنها مرتبطة بالإنسان وحده وهذا ما سيظهر في الشرح المفصل للعناصر في الفقرات الموالية.

ففيما يخص الإلزام الخلفي يرى جيمس أن علم الأخلاق إنساني وذلك لأنه يرى أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات - لها مطالب ورغبات وإحساسات ومشاعر - هذه الكائنات هي بنو الإنسان وبناء على ذلك يرى جيمس أن مصدر علم الأخلاق إنساني بحت، وذلك لأن الإنسان هو الكائن الخلفي الوحيد في هذا العالم. ولذا فالمعقول أن يكون الإنسان مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة، ومن ثمة أمكن جيمس أن يقول: " إن الإنسان هو الخالق الوحيد في ذلك العالم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"<sup>2</sup>.

ثم يتحدث جيمس عن الطريق الذي يؤدي إلى ظهور القواعد الأخلاقية وبناء الحياة الخلقية للجماعات الإنسانية فبقول: " أن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية في أنه لا يمكن استنباطه كل مرة واحدة من مبادئ ذهنية بل لابد أن يخضع للزمن، وأن يكون مستعداً لأن يغير من نتائجه من أن الأخر. والغرض المبدئي في

<sup>1</sup> - محمود زيدان: وليام جيمس، ص 183.

<sup>2</sup> - نفسه، الصفحة نفسها.

كليهما طبعا هو أن الآراء الذائعة حق، وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقد الرأي العام<sup>1</sup>.

معنى هذا أن جيمس يرى أن الأخلاق مثل العلوم الطبيعية مستعد للتغيير من نتائجه من أن إلى آخر على مر الزمن على أساس أن الآراء الذائعة حق، وأن القانون الحق هو ما يعتقد الرأي العام وأنه قابل للتغيير كلما تغير الرأي العام، وهو بهذا يسوي بين الأخلاق والطبيعة في أن كل منهما خاضع للتجربة الإنسانية، فلا يمكن تكوين فلسفة أخلاقية أو قواعد أخلاقية عن طريق غير تجريبي، وأن الإنسان هو الذي يبني الفلسفة الأخلاقية.

أما من حيث "التفاؤل الخلقى" Meliorism فيرى جيمس أن الخير عبارة عن إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، وتحققه يكون بالنجاح إن الشر ليس أساسيا وعنصرا من عناصر الكون ولكنه شيء يمكن التغلب عليه، بهذا يعلن جيمس أن التفاؤل والتشاؤم شيان إنسانيان، أي أن الإنسان إذا اعتقد أن العالم جبر وسلك في الحياة وفق اعتقاده هذا فإن العالم يصبح خيرا، وإذا اعتقد بالتشاؤم أي أن العالم شر، وسلك وفق ذلك، فإن العالم يصبح شرا حقيقيا، ومعنى الخيرية عند جيمس هو ملائمة عالمنا لحياة خلقية ودينية ناجحة.<sup>2</sup>

فمصطلح المليونزم (التفاؤل الخلقى) اصطلاح يصطنعه جيمس للدلالة على الموقف القائل بأن العالم ليس خيرا في ذاته، وليس شرا في ذاته وإنما يمكننا أن نجعله خيرا بمكافحتنا الشر الذي فيه، أو المليونزم اصطلاح يقف به جيمس موقفا وسطا بين مذهبي التفاؤل والتشاؤم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - وليام جيمس: إرادة الاعتقاد، ترجمة: محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، 1996، ص 101.

<sup>2</sup> - وليام جيمس: العقل والدين، ص 77.

<sup>3</sup> - كامل محمد عويضة: وليام جيمس، ص 170.

وعلى هذا فإن الخير عند جيمس يشبع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، وتحقيق الخير يكون بالنجاح من تجاربنا في الحياة، وعلى هذا سلوك ناجح في حياته وبهذا الفعل الفاضل هو الذي يشبع لصاحبه رغباته أو يحقق المنفعة له.

أما بالنسبة للشر يعلن جيمس أن مشكلة الشر مستحيلة الحل على أساس الميتافيزيقي وإنما يمكن حلها على أساس عملي، وبمعنى آخر لم يسأل جيمس: ما الشر؟ وما دلالاته؟ وإنما يسأل كيف تتغلب عليه؟ لقد تغلب جيمس على الشر بما قاله في التفاؤل الخلقى (المليورزم) ليس العالم خيرا في ذاته ولا شرا وإنما يصبح خيرا باعتقادنا بأن العالم كذلك أو شرا إذا اعتقدنا أنه شر<sup>1</sup>.

فالملاحظ في نظرية جيمس التي أسماها المليورزم هي نظرية مفادها أنه بإمكانية التحسن والتحول إلى الأفضل، وهو بهذا يقف بموقفه بموقفه الوسط بين التفاؤل والتشاؤم أي بين المذهبين، لأن العالم عنده ليس خيرا في ذاته وليس شرا كذلك في ذاته، وإنما يمكننا أن نكافح الشر وأنه يمكننا أن نجعل العالم خيرا وذلك من خلال مكافحتنا للشر الذي يسكنه والوجود فيه.

يقول جيمس: " أعتقد أن العالم خير واسلك وفق اعتقادك ستجد أنه خير، لأنك لو اعتقدت أن العالم شر وسلكت وفق ذاك الاعتقاد فإنك تخلق بذلك عواطف اليأس والعجز والقنوط وسيصبح العالم شرا حقيقيا... إن العالم خير يجب أن نقول ذلك ما دام هو عبارة عما نصنعه فيه؟ وسنصنع فيه الخير"<sup>2</sup>.

وعلى هذا فالأخلاق عند جيمس يصنعها الإنسان وليست خاضعة لقوة عليا، حتى التفاؤل عنده شيء يصنع وذلك بمكافحة الشر في هذه الحياة، وبذلك تكون الأخلاق عند جيمس مرتبطة بالحقيقة، لأن الحقيقة شيء يصنع.

<sup>1</sup> - نفسه، ص 172.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 172-173.

ويعتقد جيمس أن الإنسان السليم العقل Healthy-minded ينظر إلى الأشياء على أنها حسنة وخيرة أما المريض Sick Soul فإنه ينظر إليها على أنها شر في ذاتها، ويصبح الإنسان متفائلا إذا اعتقد بخير العالم لأنه سوف يجد العالم يلي رغباته، ويخدمه، وسيرفع عنه الاضطراب والقلق، وحينئذ لن يفكر في الشر وسيعبر أنه شيء غير موجود أو سيتجاهله على الأقل.<sup>1</sup>

وبهذا يضرب جيمس مثال بالإنسان السليم الذي ينظر إلى الأشياء على أنها حسنة وخيرة على عكس الإنسان المريض الذي يرى كل الأشياء على أنها شر.

ويقول أيضا: " إن معظم ما نسميه شرا يرجع إلى النحو الذي يأخذ الناس به الظواهر، يمكنك أن تجعل الشر خيرا بتغيير بسيط في الموقف الداخلي للإنسان المتوقع للشر أي (تغيير)، من موقف الخوف منه إلى موقف نضاله. وستصبح لذعة الشر حلوة إذا قبلنا مواجهته بضرب وابتهاج أنكر ما في الوقائع من سوء واحتقر شبح سوءها، وأدر ظهرك لها، فإن الشر الذي فيها قد يزول".

أما بالنسبة لحرية الإرادة فنلاحظ أن جيمس يؤمن بأن الإنسان مختار في أفعاله، وليس مجبرا عليها، فافتراض أن الإنسان حر الإرادة، وطلب منه أن يسلك كما لو كان الافتراض صحيحا، ويقول: أن الإنسان سيجد نفسه حر الإرادة وأنه يستطيع خلق أفعال جديدة.<sup>2</sup>

مما سبق يمكن القول أن الأخلاق عند جيمس هي أخلاق كفاح ونضال، وطبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر، وتجدد لا ينقطع وتطور لا يحده حد. وعلى ذلك فلا يمكن أن تكون هناك أخلاق مكتملة كما لا يمكن أن يكون هناك عالم مكتمل، ولا يمكن أن تكتمل الأخلاق إلا حين تنتهي آخر تجربة لأخر الإنسان.

<sup>1</sup> - نفسه، ص 173.

<sup>2</sup> - محمود زيدان: وليام جيمس، ص 187.

وبهذا يتضح لنا رأي جيمس في الأخلاق والذي يتمثل في أن الأحكام الأخلاقية تجريبية تتطور وتتغير طبقاً لتغيير الرأي العام الذي يعد في نظر جيمس معيار الصواب بالنسبة للأحكام والقواعد الأخلاقية، فلا توجد أحكام أخلاقية مطلقة بحال من الأحوال عند جيمس.

ويتضح من خلال العرض السابق لفلسفة جيمس البرجماتية بدأ بعرضه للحقيقة بأنها مطابقة الأشياء لمنفعنها لا مطابقة الفكر للأشياء بمعنى انها مطابقة ما في الأعيان لما في المنفعة وليس مطابقة ما في الأذهان لما في الأعيان فهذا تكمن قيمة الحقيقة حسب الموقف البرجماتي المعاصر أنه كل ما هو نفعي عملي ومفيد في تغير الواقع والفكر معا وحتى التجريبية المتطرفة انتقالات إلى الجانب الأخلاقي والديني فقد اعتبر الدين تجربة فردية وجوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس وان الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة موجود أعظم وهو الشعور بالانسجام والسلام وأن التجربة الدينية أكثر من واقعية من التجربة العلمية لأنها تبدأ بالمجسم اي العاطفة والاحساس والفكر والتجربة العلمية تبدأ بالمجرد والعلم تجربة ولكن الدين واقعة حية نعيشها والله موجود لأن فرض وجوده نافع لهذا فـجيمس قد اضى على معنى البرجماتية الطابع النفعي فتعامل مع صدقية الافكار من منطلق القيمة الفورية العملية .



البرجماتية في الوقت الحالي وأهم الإنتقادات الموجهة للمذهب

البرجماتية في و.م.أ في الوقت

الحاضر

البرجماتية والفلسفة الأوروبية

المعاصرة

نقد المذهب البرجماتي من المنظور

الفلسفي

نقد المذهب البرجماتي من المنظور

الديني

أهم الإنتقادات الموجهة لفلسفة

### تمهيد

تبين من القراءات المختلفة للبرجماتية أنها ليست فلسفة مغلقة على ذاتها فهي فلسفة مفتوحة كحركة جماعية فريدة تقريبا في تاريخ الفكر الفلسفي، وفي هذا الفصل سأعرض الموضوعات العامة الرئيسية لهذه الحركة الفلسفية البرجماتية فقد بدأت أعمال البرجماتية في الولايات المتحدة وبصفة مبدئية وانتقالا إلى البرجماتية الأوروبية المعاصرة وكتعبير عن الثقافة الأمريكية وأما المبحث الثالث والرابع والخامس فقد خصصته للمناقشة التي قدمت للمذهب البرجماتي بصفة عامة وفلسفة جيمس البرجماتية بصفة خاصة فقد ركزت في المبحث الأخير على أهم الانتقادات الموجهة لجيمس في الجانبين الأخلاقي والديني لأن أبرز سهام النقد كانت موجهة لفلسفته الدينية.

### المبحث الأول: البرجماتية في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر

يدور العمل الرئيس في البرجماتية الآن في الولايات المتحدة وبصفة مبدئية ولكن ليس بطريقة شاملة حول التفسير Interpretation والتقرير (التقويم) Assessment وتناولت أعمال بيرس الجزء الأكبر من هذا النشاط بلا شك، وقد أضاف الناشر " آرثر بوركس " Arthur w Burks. مجلدين آخرين لبحوث بيرس (collected Papers) صدر عام 1958، فأصبح إجمالي عددها ثمانية\*. وأصبحت مخطوطات بيرس على الميكروفيلم متاحة الآن في مكتبات جامعة هارفارد.<sup>1</sup>

من المعروف أن بيرس هو الذي أشار إلى توضيح أفكارنا عن طريق إتباع المنهج البرجماتي وعمله في التفسير والتقرير تناول جزءا كبيرا في الولايات المتحدة بصفة مبدئية فقد ظهرت مختلف أعماله في مجلداته الثمانية التي نشرت بعد وفاته وقد صنعها الناشرين وليس بيرس من وضعها.

- 
- \*- نشر المجلدات الستة لهذه الأبحاث بالأسماء الآتية (وهي من وضع الناشرين وليست من وضع بيرس)
- |   |  |
|---|--|
| 1- المجلد الأول: مبادئ الفلسفة          | Vol 1. Principles of Philosophy (1931) |
| المجلد الثاني: عناصر المنطق             | Vol 2. Éléments of logic 1932          |
| 3- المجلد الثالث: المنطق الصحيح         | Vol 3. Exact logic 1933                |
| 4- المجلد الرابع: أبسط الرياضيات        | Vol 4. The simplest mathématiques 1934 |
| المجلد الخامس: البرجماتية والبرجماطيقية |  |
| 6- المجلد السادس: الميتافيزيقا العلمية  |  |
- ثم نشر بوركس عام 1958 المجلدان السابع والثامن بعنوان
- 7- العلم والفلسفة
- 8- مراجعات ورسائل وثبت بالأعمال
- <sup>1</sup>- تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجماتيّة، ص 185.

وأسفرت جهود محبي بيرس عن إنشاء جمعية تشارلز ساندرز بيرس Forum تدور فيها المناقشات حول فلسفته وغيرها وظهر حديثا عدد من الكتب عن بيرس وقد أشرت إلى بعضها في السابق وقد استمر إدراك أهمية فكر ميد في الازدياد وقد أجرى توم كليفتون كين Tom Clifton Ken دراسة مفصلة عن أعمال ميد الفلسفية والاجتماعية والنفسية<sup>1</sup>.

فالظاهر أن البرجماتية حاليا وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية أنها اعتمدت على التفسير والتقرير وأن هذا النشاط تناوله بيرس في أعماله والجزء الأكبر من الفضل يعود إليه ومن بعده نجد " ميد " أيضا برزت أعماله من خلال دراسة كلفتون كين له والتعمق فيها.

أما الاهتمام الأكبر المتزايد الذي يمنح ل"وليم جيمس" مؤخرا فقد كان قليل العناية بجيمس كفيلسوف برجماتي ووجهت الدراسات عنه نحو الاتجاهات الفينومولوجية في كتابيه ( مبادئ علم النفس ) و ( مقالات في التجريبية الأصلية ) وكذلك تضميناته الوجودية في كتاب ( تنويعات الخبرة الدينية ) وعلى الرغم من ذلك فإن الاهتمام بجيمس لم يقف عند حد هذه الكتابات بل إن هناك مقتطفات أدبية عديدة حديثة لفكره ككل.<sup>2</sup>

وهناك دراسة بدأت تصدر ( الآن ) بعنوان " مشروع ديوي: بحث جماعي عن كتابات ديوي " وترتكز هذا المشروع في جامعة إلينوي الجنوبية Southern Illinois University ويشمل مجلس إدارة الناشرين من بين أعضائه جورج وموريس إيامز ولويس هان ووليم ليز كما أصدرت هذه المجموعة عام 1967 نشرة بعنوان " نشرة ديوي " A Dewey News Letter بينما قدم سيدني هوك الطريقة التي فكر بها ديوي بنشاط ملحوظ ودافع عنها بثبات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - تشارلز موريس " رواد الفلسفة البرجماتية، ص 186.

<sup>2</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 187.

فلا نبخس حق ديوي في أفكاره ومؤلفاته حاليا في الولايات المتحدة المعروف عن كتبه الشهيرة والأخص بالذكر الخبرة التي اشتهر بها بامتياز.

واحتوت " مجلة الفلسفة " Journal of philosophy خاصة على العديد من المقالات عن الخبرة مما مكن من استمرار تأثيرها ربما أكثر من نظرياته الاجتماعية في ذلك الوقت، ونأمل أن يصدر جورج داخوينز George Dykhuizen ثبت بالمقالات الممتازة التي أصدرها ديوي خلال حياته العملية الطويلة<sup>1</sup>.

### المبحث الثاني: البرجماتية والفلسفة الأوروبية المعاصرة

أما فيما يتعلق بالعلاقة العامة بين البرجماتية وبعض الحركات الأخرى في الفلسفة المعاصرة مثل التجريبية أو الوضعية المنطقية، والفلسفة التحليلية الانجليزية المتأخرة والفينومولوجيا، والوجودية فإنه من الملاحظ أن هذه الحركات الخمس تطورت مستقلة بعضها عن بعض الآخر على أسس مختلفة من التقاليد الثقافية، فيما عدا بعض الدمج الذي حدث بين الفينومينولوجيا والوجودية فإنها لازالت حالة خاصة ذلك أن العاملين في إحداها نادرا ما يعرفون ماذا تم في الحركات الأخرى<sup>2</sup>.

فيتبين أن بين هذه الحركات تطورت كل واحدة على حدا أي مستقلة عن الحركات الأخرى ولا ترتبط بها بمعنى أن لكل حركة لها تقاليد ثقافية خاصة بها تطورت عليها.

مع ذلك فإنه بقليل من إعمال الفكر ندرك أن بين هذه الحركات عددا من الملامح على وجه العموم، وقد ساعد التحليل السابق للبرجماتية في معرفة أي مدى كانت هذه الفروق المسموح

<sup>1</sup> - تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجماتية، ص 187.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 188.

بها صحيحة بل ومتكاملة على حد بعيد، وتشرك هذه الحركات الخمس في ملامح عامة منها إيجاد عدد من المفكرين الجادين وليس مجرد القيام بعمل هوامش على أعمال أستاذ واحد، وكانت لهم غايات لا نهائية وليس مجرد إقامة " أنساقا " بالمعنى التاريخي وصبغوا جميعا بصبغة تجريبية متحررة في مقابل الحركات التحليلية التقليدية للخبرة<sup>1</sup>.

كانت مظاهر التوجه نحو الإنسان هي الصفة المصاحبة في مختلف هذه الحركات لأن المشكلات التي عنوا بها كانت جد مختلفة، وكان يبدو ان اعتبارات العداء متكرر بين أعضاء الحركات المختلفة بالنسبة لما له صلة بمشكلة ما قد لا يكون للآخرين نفس التقدير فلم يكن ليبدو أن لها أهمية تذكر، ومع ذلك فإنه طالما أن المحور الأساسي ينصب على خبرة ونشاط الإنسان فإنه يجب أن تكون هناك تأكيدات Emphasis ونتائج للحركات المتباينة مكتملة لبعضها البعض ولا ينفى بعضها البعض<sup>2</sup>.

نجد أن كل حركة من الحركات تركز وتأخذ إشكالية من الإشكاليات وأن الإنسان هو المظهر الرئيسي والموجه لمختلف هذه الحركات لأن الإشكاليات المقصودة مختلفة.

ويفترض التحليل السابق للحركة البرجمتية منظورا واحدا نستطيع أن نرى من خلاله هذا التكامل، فكل حركة من الحركات الأربع الأخرى المذكورة في الواقع تركز على إحدى الإشكاليات الرئيسية والتي أخذتها الحركة البرجمتية ككل.

<sup>1</sup> - نفسه، ص 188-189.

<sup>2</sup> - تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجمتية، ص 189.

وعلى سبيل المثال فقد ركزت كل من الوضعية المنطقية لجماعة فيينا Vienna Circle على وجه العموم ومعها الفلاسفة البرجماتيّة وبيرس على وجه الخصوص على المنطق الصوري وعلى المحك التجريبي (الوضعي) للتصور العلمي ذات المعنى وعلى الفروض.<sup>1</sup>

وانتقدت الفلسفة التحليلية الإنجليزية في شكلها اللغوي الذي وضعه فنجنشتين\* بطريقة عامة وفجة مع الفلسفة البرجماتيّة في ربط المعنى بالفعل، أما بالنسبة للفينومولوجيا فإن لها مكانا بارزا في فلسفة بيرس وجيمس، وفي كثير من كتابات ميد (كما في فلسفة الحاضر) حيث احتوت هذه الفلسفات على خواص فينومولوجية وعنى الوجوديون في صورة جد مختلفة بالاتجاه أو بطريقة الحياة المناسبة للإنسان الحديث، وأصبحت هذه الإشكالية أساسية لدى جميع البرجماتيّين، وعلى وجه الخصوص عند جيمس وديوي.<sup>2</sup>

وهكذا فإن الحركات الأربع كلها اهتمامات واضحة اشترك فيها جميع البرجماتيّين وحتى الآن فإذا كانت الحركة البرجماتيّة تعتبر تكوينا كاملا فإن الحركات الأخرى في الفلسفة المعاصرة يجب أن تبرهن أيضا على تكاملها، وتعتبر الحركات الخمس جميعها تخصصات فلسفية محاولات يدعمها الإنسان الحديث لكي يفهم ذاته وأنشطته فضلا عن أنها محاولات لوضع الإنسان نفسه في بؤرة هذه الحقبة الزمنية الخاصة بالتحول الأساسي في التاريخ البشري.<sup>3</sup>

فقد انتقدت الفلسفة التحليلية بشكلها اللغوي مع الفلسفة البرجماتيّة وذلك من خلال ربط المعنى، كما نجد الفينومولوجيا تأخذ مكانة كبيرة وبارزة في فلسفة جيمس وديوي وكذلك في فلسفة

<sup>1</sup> - نفسه، ص 189-190.

\* - فنجنشتين لودفينج كان يحس أن عمله الفلسفي يتطلب العزلة وكرس وقته للبحث في المنطق، واصل عمله في الفلسفة ونشرت فيما بعد الملاحظات الفلسفية التي سجلها خلال العامين الأولين للحرب بعنوان المنكرات 1914-1916.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 190.

<sup>3</sup> - تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجماتيّة، ص 190.

ميد، ومن هنا يتبين من خلال الحركات لها اهتمامات واضحة جدا أخذ بها جميع البرجماتيين، وعلى هذا فالفلسفة البرجماتية أو بالأحرى الحركة البرجماتية تعبيرا تكوينيا كاملا وعلى الحركات الأخرى في الفلسفة المعاصرة يجب عليها أن تبرهن على تكاملها، وهذه الحركات تعتبر تخصصات فلسفية الداعم الأساسي لها الإنسان الحديث ليفهم من خلالها ذاته ومختلف أنشطته.

إن المحاولة الجادة في النظر إلى الفلسفة المعاصرة وبهذه الطريقة ستكون عملا كبيرا، وسيتطلب الأمر دراسات مقارنة لمثل هذه النتائج لاكتشاف ما في هذه الحركات المختلفة من اتفاق على وجه العموم ويقع مكن الاختلاف في كشف المدى الذي وصلت إليه في الواقع من الناحية التكاملية، ومن الواضح أن مثل هذه " الفلسفة المعاصرة المقارنة" بعيدة عن حدود هذه الدراسة<sup>1</sup>.

يمكن أن ندرك القوى والمصادر المتعددة للفلسفة المعاصرة في علاقتها بالعمل الذي شمل كوكبنا على اتساعه Planet –wide Task حتى يفهم الإنسان الحديث ذاته ويستعد لمستقبله<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 191.

### المبحث الثالث: نقد المذهب البرجماتي من المنظور الفلسفي

امتازت الفلسفة البرجماتية عن الفلسفات القديمة باهتمامها بالتجريب والمبدأ التجريبي لتتبع النتائج وإدراك الوعي الواقعي إلا أن هذا الامتياز ليس جديدا فالمنهج التجريبي نشأ على أيدي علماء مسلمين وتحديدًا الفيلسوف والعالم الكيميائي ( جابر بن حيان)، وقبل أن أبدأ في مناقشة المذهب لا ينبغي أن نغصط رموز هذه الفلسفة حقهم بل علينا أن نشيد بهم وأن للفلسفة البرجماتية جهودا لا تنكر في دفع تطور الفكر ورغم كل ما قدمته البرجماتية فإنه هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة، منها ماله علاقة بالنواحي الفلسفية، ومنها ما له علاقة بالدين وأصوله ومبادئه، ولا أنسى الانتقادات التي وجهت إلى جيمس سواء في جانب الأخلاق أو الدين وكذلك التجريب.

#### فمن المنظور الفلسفي:

أهم مبدأ تقوم عليه البرجماتية هو القطعية مع الماضي وعدم الالتفات إليه، وإن البرجماتي يولي ظهره بكل عزم وتصميم وعلى غير رجعة، لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين إنه ينأى بعيدا عن التجريد وعن عدم الكفاية.<sup>1</sup>

وفي الوقت نفسه ينطلق البرجماتيون في أفكارهم من فلسفات قديمة نادى بها كبار الفلاسفة، فهي بذلك تناقض نفسها في البعد عن الماضي والادعاء بالجدة والحدثة، وفي الوقت نفسه تكرر أقوال قدامى وتتنبى آرائهم، مما يؤكد أنها في حقيقتها مجرد إعادة للنظرة الرواقية القديمة التي ينادي مؤسسوها بمتابعة الفطرة، والعيش وفق الطبيعة، باعتبار أن الدساتير والنظم الاجتماعية إنما هي من وضع الإنسان وصنعه لا غير.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - وليم جيمس: البرجماتية، ص 71.

<sup>2</sup> - منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، الأديان والفرق والمذاهب، مجلة الدراسات العقيدية، العدد الرابع، ص 110.

وجه كل من رسل وإميل بوترو وجون ماكوري وغيرهم نقدا للبرجماتية يتمثل في الصعوبات العقلية الكبيرة التي تتطوي عليها النظرية، فهي تفترض أن اعتقادا ما أو فكرة ما تكون صادقة صحيحة إذا كانت الآثار العملية المترتبة عليها نافعة أو مفيدة فلن تصبح حقيقة تصور ما - منذ الآن - يقينية إلا بعد الحدوث: وكذلك يجب علينا أن نعرف أولا: ما هو الخير النافع؟ وثانيا ما هي آثار هذا الاعتقاد أو ذلك، والنتيجة كما يرى (رسل) تعقيد لا يصدق، وهكذا فإن قيمة الرأي أو الفكرة هو بمدى منفعته في الحياة والحق هو التحقق من الفكرة بالتجزئة<sup>1</sup>.

فالعامل هو مقياس الحقيقة والفكرة صادقة عندما تكون مفيدة ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها وأن حقيقة أي تصور يكون يقينيا الأبعد حدوثه وقبل كل شيء يجب معرفة الخير والمنفعة لنا وآثار هذا الانتقاد وهنا نجد راسل يبين أن النتيجة تعقيد لا يصدق وأن قيمة أي فكرة تكمن في قيمتها فالحياة والتحقق منها عن طريق التجربة.

إن جعل المنفعة معيار الصدق والحقيقة مما يجعل المجتمع غابة من الوحوش الضارية التي تأكل بعضها بعضا إذ تتنافس على التفوق والغلبة وتحقيق النجاح بصرف النظر عن الهدف وجعل المنفعة هي معيار الصدق والحق مما تجعل إرادته لا تتققا على تحقيق أية قيمة من القيم الفاضلة: كالحق والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة في ذاتها، الأمر الذي جعل هذه الفلسفة ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة<sup>2</sup>.

فالمنفعة وحدها كمعيار للحقيقة والصدق تؤدي إلى التضارب بين أفراد المجتمع كل واحد يجري وراء منفعته ناسيا قيمة الأخلاقية الفاضلة متبعا لمصلحته التي تقتل شيئا فشيئا فضائله الإنسانية الثابتة.

<sup>1</sup> - رنا بنت عبد اللطيف شويعر، سهام بنت سليمان العصمي: الفلسفة البرجمتية، أمانى عبد القادر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الفصل الدراسي الأول 1437-1438هـ، ص 27.

<sup>2</sup> - منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجمتية عرض ونقد، ص 312.

نجد في المنافسة الحرة ظهرت مساوؤها عند التطبيق، واستفحلت أخطارها في عدد من الجوانب منها:

أ- اللاأخلاقية، على الرغم من أنها تنقيد ببعض الفضائل، كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد، إلا أنها ليست مقصودة بذاتها بقدر ما تحققه من منفعة مادية، حيث إنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير فالحق لذاته والباطل لذاته- بصرف النظر عما يترتب عليهما من وجوه النفع أو الضرر- حديث خرافة عندهم<sup>1</sup>.

بالرغم على تفيدها ببعض من الفضائل المذكورة، ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الآخر والغير وتظهر اللااخلاقية بوضوح في أساليب الدعاية والإعلام.

ب- الارتباط الوثيق بالحرب، عندما تكون نتائجها في صالح الطرف الأخير، بغض النظر عن الممارسات اللاإنسانية والأذى والتشرد والضرر الذي يقع جراء تلك الحروب<sup>2</sup>.

ت- الانحرافات السلوكية: وأظهرها الإجرام، إذ أن فتح الباب على مصراعيه للمنافسة والصراعات من شأنه تمجيد العنف، ويتضح الانحراف بصورة أخرى في شرب المسكرات والمخدرات وعقارات الهلوسة وغيرها وتفسيرها أنها ظاهرة هروبية من واقع العنف والمنافسة المريرة التي لا ترحم<sup>3</sup>.

فالانحرافات السلوكية نجدها أن الإجرام أظهرها والمتمثلة والمنحدرة من عصابات القتل المنظم والمتاجرين بالمخدرات وغسيل الأموال وكل الآفات في المجتمع، وفتح الباب على مصراعيه للمنافسات والصراعات وكذلك فإن الدين لم يسلم أيضا من التفسير النفعي فلسفيا في ضوء الفلسفة البرجماتيية حيث إن شرط اعتبار وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من

<sup>1</sup>- منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، ص 312.

<sup>2</sup>- نفسه، ص 313.

<sup>3</sup>- سليمان بن صالح الخراشي: نقد الفكر الغربي نقد البرجماتية، صيد الفؤاد، 30 مارس 2017، [WWW.SAAID.NET](http://WWW.SAAID.NET)

يسأل عن قيمة الدين لأن قيمته فيما ينتجه، وهذه هي النظرة البرجماتية للدين لأن الدين عند البرجماتييين لم يكن موضعاً للبحث في ذاته وإنما أثار الانفعال الديني هو موضع البحث وهل هذه الآثار حسنة تحقق الأمل أم لا تحققه؟ وهل يمكن الحصول عليها بطريق آخر خلاف الطريق الديني؟<sup>1</sup>

#### المبحث الرابع: نقد المذهب البرجماتي من المنظور الديني

أما نحن معشر المسلمين فإننا -بحمد الله- نمتلك أعظم ثروة للعقيدة والقيم تضمنها كتاب الله عز وجل ونفذها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حقق في عقيدته وسلوكه وأخلاقياته الأسوة الحسنة وجمع بين الحق عقيدة وإيماناً و"العمل" أخلاقاً وسلوكاً وحدد الأهداف ووضع المنهج وأحصى القيم مبيناً الطريق الذي يجتازه المسلمون من دنياهم إلى آخرهم.

قد قامت الفلسفة البرجماتية على أساس أن المعيار في بيان صحة الأعمال وحسنها إنما يكون من خلال نتائج المترتبة عليها فأخضعت كل شيء لمبدأ "النفعية" وجعلت النتيجة هي معيار الحكم على حسن ذلك العمل والأخذ به، أو قبحه وتركه وقد طبقوا ذلك المبدأ على الدين، فأصبح الدين نافعا في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به.<sup>2</sup>

ف نجد الفلسفة البرجماتية طبقت فكرتها حتى في الجانب الديني أي جعلت المنفعة هي النتيجة لمعيار الحكم على حسن العمل أو قبحه وقاموا باعتبار الدين نافعا فيما ينتجه.

وفي هذا يقول برتراند راسل: ( لا يقنع مؤمنا مخلصا إيمانه، لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى استراح إلى موضوع عبادته وإيمانه، إن المؤمن لا يقول : إني آمنت بالله سعدت، ولكنه

<sup>1</sup> - منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، ص 213-214.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 315.

يقول: إني أومن بالله من أجل هذا فانا سعيد... إن الاعتقاد بوجود الله تعالى في نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج وآثار<sup>1</sup>.

فهنا يتبين أن للدين أثرا أخلاقيا وكما أن الدين يتفوق على المصادر الأخرى للحث على المثابرة والنشاط، وأنه كل مريض لا يشفى فقط بالعلاج الكيميائي المادي وحده بل مختلف الإيحاءات الناجمة عن قوة الإيمان لهذا فالإيمان بالله يجعل الفرد سعيدا.

قد يندع البعض بالبرجماتية عندما يقرأون هذا الكلام ل (برتراند راسل) وعندما يقرأون بأن رائدها ( وليم جيمس قد اعتقد بوجود الله من خلال تطبيق المنهج البرجماتي، إذ إن في هذا مساواة بين كل ما في العالم من نحل وملل، سواء كانت سماوية أم أرضية صادقة أم مزيفة، لأن المعيار البرجماتي في صحتها هو مقدار ما تحققه من منفعة وراحة وطمأنينة - مباشرة أم غير مباشرة - لمعتقدها<sup>2</sup>.

لأن العودة إلى معيار الصدق والحقيقة لدى البرجماتية مقلوب فنجد عندهم الحق يكون حقا إن كان له منفعة ونافعا وإذا لم يكن نافعا فهو ليس بحق، بينما العقل والحق والمنطق الحكم عليهم ليس مرتبط بالمنفعة لأنه كل حق يكون نافعا ولا يجب أن يكون العكس.

كما أن العقل البشري بما أودعه الله فيه من خصائص، له حدود لا يتجاوزها، ولا يستطيع أن يتخطاها، لذا فقد أرسل الله الرسل - عليهم الصلاة والسلام- وأنزل عليهم الوحي ليكون نبراسا يضيء الطريق أمام العقل، ليس على هدى وصراط مستقيم، فلا يتخبط في سيره، ولا يتناقض

<sup>1</sup> - منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، ص 316.

<sup>2</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

في فهمه، فإنه لا يستطيع الوقوف وحده من غير عون من الوحي، فالعقل مع الوحي كالتابع مع المتبوع، كما أن العقل قد تؤثر عليه العوامل الخارجية من عاطفة أو غضب أو مجتمع<sup>1</sup>.

بالرغم من أن الفلسفة البرجماتية لا تنظر للماضي ولا تعيره اهتماما فإن هناك تناقضا يبرز من خلال تكرار أقوال الفلاسفة القدامى، ومبادئ الفلسفة البرجماتية فمثلا: فرانسيس بيكون الذي أرسى قواعد المنهج التجريبي الذي هو أساس البرجماتية لم يكن برجماتيا، إخضاع كل شيء للتجربة يجعل الأفكار في شك حتى تثبت صحتها بالنتيجة العملية ومجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته والدين لا يقبل الشك فلا يمكن الجمع بين الشك وإيمان فهناك أمور غيبية لا يستطيع الإنسان أن يصل إليها بالتجزئة العملية<sup>2</sup>.

لهذا إخضاع كل شيء للتجربة سيوقعنا لأن في الخطأ لأنه التجارب تؤدنا إلى الشك إلى أن تثبت صحتها وصدقها بالنتيجة العملية وإخضاع الدين إلى التجربة بمجرد التفكير في هذا الأمر هو شك في صحته وهذا أمر غير صحيح فلا يمكننا الجمع بينهما (الشك والإيمان) لأن التسليم بالدين أمر مطلوب للمسلم الحق الذي لا يضع عقيدته في موازين الشك.

إن العقل البشري لا يستطيع الوقوف وحده بغير عون من الوحي:

أولا: إن الخير هو الذي يحدد الشرع ويستمد إزمه منه للتسليم بأن الله تعالى هو العليم الحكيم، قال تعالى: " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" يفسر ابن كثير هذه الآية ببيان

<sup>1</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> - رنا بنت عبد اللطيف الشويعر: سهام سليمان الصمي، الفلسفة البرجماتية، ص 28-29.

وجوب الإجهاد وأثار قتال الأعداء الإسلام من النصر والظفر الأمور كلها، قد يحب المرء شيئاً وليس له فيه خير ولا مصلحة<sup>1</sup>.

فالخير إذا يبين ويجدد الشرع ويبين بأن الله سبحانه هو العليم الحكيم وإنما تشير إليه الآية وجوب الجهاد وقاتل أعداء الإسلام وكذلك بالنسبة لنا قد نحب شيئاً وهو شر لنا ولا منفعة لنا فيه.

يكمل ابن كثير تفسيره قال تعالى: " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم، فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلمكم ترشدون، كذلك قد يجهل الإنسان الفروق المرجحة لما يفيد مما يضره قال تعالى " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ". أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية ولكن هذه الآية ممهدة للتحريم على البتات<sup>2</sup>.

فالوحي ينر الطريق للإنسان ويساعده في معرفته للأمر الخيرة من الأمور الشريرة فقد وضحت الآية ما يجب أن نفعله ونقتدي به لمصلحتنا وما يجب الابتعاد عنه من مضار ومساوئ.

ثانياً: إن النجاح مطلوب والسعي والتنافس على فعل الخيرات مرغوب، فإن المؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ولكن ينبغي أن يستظل السعي هدفاً وطريقاً بأوامر الشرع والالتزام بأدابه وهذا ما ترشد إليه الآيات:

<sup>1</sup> - سليمان بن صالح الخراشي: نقد الفكر الغربي نقد البرجماتية، صيد الفؤاد، 31 مارس 2017 على الساعة 17:00.

<sup>2</sup> - نفسه.

أ- قد يوسع الله تعالى الرزق للعبد استدراجا له ثم ينزل به عقابه الشديد، قال تعالى " ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين" وقال عز وجل " والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين".<sup>1</sup>

ب- لا يصلح الله حال أمة إلا إذا صلحت قلوبها واعدت نفسها للتقوى، قال تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

ت- تكثر المصائب عند فساد الأخلاق قال تعالى " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير".

ث- وفيما يتعلق بتقوية الإرادة فهناك آية تبين كيف يربي الله تعالى المسلم على تحمل الشدائد حتى يكون قوي العزيمة قال تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب".<sup>2</sup>

وانطلاقا مما تقدم الدين الحنيف يقف أمام البرجماتية ويعالج الآفات الموجودة فيها والتي تبرهن على أن الإنسان أي العقل البشري لا يستطيع الوقوف وحده من غير عون الوحي فديننا ينير لنا الطريق بكل ما فيه من أمور نفعلها وأمور نتركها، فالبرجماتية وكما سبق لم تسلم من النقد سواء من الجانب الفلسفي أو من الجانب الديني ولمعرفة المزيد من الانتقادات الموجهة للبرجماتية وخاصة فلسفة جيمس البرجماتية سأتعمق في طرح أهم الانتقادات الموجهة.

<sup>1</sup> - سليمان بن صالح الخراشي: نقد الفكر الغربي نقد البرجماتية. 31 مارس 2017، ساعة 17:00.

<sup>2</sup> - نفسه.

المبحث الخامس: أهم الانتقادات الموجهة لفلسفة جيمس البرجماتية

رغم ما قدمه جيمس من آراء ونظريات وأفكار عن الفلسفة البرجماتية إلا أنه لم يسلم من النقد وما سآدمه من نقد لا يعني بالضرورة أن نبخس حقه فيما قدمه، فالانتقادات الموجهة له بشدة والمهمة في الجانبين الأخلاقي والديني ففي المذهب الأخلاقي سأطرق إلى ما يلي:

لتقوية هذه الفلسفة ينبغي ألا نبخس وليم جيمس حقه ما بعثه للأمل الذي يحفزنا إلى تحدي الشر ومغالبته ويهينا الشجاعة على أن نأخذ الحياة غلابا وحثنا على ترقية العالم لأنه ما وسعنا أن ننهض بترقيته بفضل إرادتنا هذا الشطر من فلسفته لا غبار عليه بل يتضمن كثيرا مما يحتاجه الإنسان الفرد لشحن إرادته ودفعه إلى العمل الإيجابي المثمر ولكن وفق أي مبدأ؟<sup>1</sup>

إذا يتبين من هنا أننا نعتقد بثبات القيم وتسيير بها لتحدي الشر والتفوق عليه وتعطينا الشجاعة.

تلك نقطة الخلاف معه إذ نعتقد بثبات القيم والمبادئ في بداية الطريق ثم نمضي بإرادتنا لتحقيقها وإذا فرض وفشلنا في الوصول إلى الهدف فلنعد النظر في طريقنا إذ ليس العيب في المبدأ ولكن العيب فينا وفي منهجنا وبغير الاعتقاد في ثبات المبادئ فإننا لسنا أمام فلسفة جديدة وإن بدت كذلك، ولكنها مجرد إعادة للنظرية الرواقية القديمة مضافا إليها الروح النضالية الحديثة فإن الخير الحقيقي عند الرواقي القديم في حكمة الاختيار وحدها وليس في الشيء المختار الذي يصطفيه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - مصطفى حلمي: الأخلاق في الفلسفة العملية (البرجماتية) ونقدها، 1-04-2017 على الساعة 14:00.

<sup>2</sup> - نفسه.

فالمقصود هنا أن الخير الحقيقي عند الإنسان الرواقي القديم في حكمة الاختيار وحدها معناها إبراز وإظهار مهارته في الشيء المختار مثلا نجد ضارب القوس فغاياته ليست إصابة الهدف بل في إبراز مهارته وإظهارها في إصابة الهدف المحدد.

يرى وليم جيمس أن الحق إنما هو فرض عملي، أي مجرد أداة يختبر بها تصوره السابق، ويرى أن الحقائق تنقسم إلى قديمة وجديدة والصواب الذي يتفق عليه أغلب الفلاسفة أن الحق يستمد قيمته المطلقة من قيمته الثابتة خارج مقولتي " الزمان والمكان"، ونراه أيضا يخلط خطأ معينا بين المبادئ والأهداف حيث يصبها في قالب المنفعة.

بينما التفكير السليم يقتضي العكس أي الإيمان بالفكر والعقيدة أولا عن اقتناع وتثبت بقيمتها الذاتية، ثم السعي بمقتضاها مهما قابلنا في طريقنا من صعوبات، فضلا عن افتقاد المنافع وهذا منهج الأنبياء والرسول عليهم السلام.<sup>1</sup>

فالحق عند جيمس مجرد أداة يختبر به تصوره السابق بينما الفلاسفة يتفقون على أن الحق يأتي بقيمته ثابتة خارج الزمكان وهو يقوم بالخطأ بين المبادئ والأهداف ويضعها في حيز المنافع بينما التفكير الجيد يتطلب الإيمان بالعقيدة والفكر أولا.

ومهما كانت نية وليم جيمس وحوافزه ذات الطابع الأخلاقي فإن صدى فلسفته كانت متعارضة مع نواياه فقد فوجئ بإخوانه الأمريكيين يندفعون لتكديس الثروات، وأخذ يلومهم " لأنهم يعبدون تلك الآلهة الفاجرة التي تدعي النجاح، ولكن ماذا يتوقع غير ذلك؟ إن هذا هو المصير المحتوم والنتيجة المنطقية لفلسفة تعظم المنفعة وتزدرى الفكرة الثابتة والقيم المطلقة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - مصطفى حلمي، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - نفسه.

كما يقول توفيق الطويل في كتابه الفلسفة الخلقية في تقييم لهذه الفلسفة " ويكفي أن تعتبر البرجماتية الحق أو الخير كالسلعة المطروحة في الأسواق، قيمتها لا تقوم في ذاتها بل في الثمن الذي يدفع فيها فعلا فالحق فيما يقول جيمس كورقة نقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها، ولم يجد أصحاب البرجماتية غضاضة في النظر إلى الحق أو الخير، كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق، هذه هي العقلية الأمريكية في الفلسفة والأخلاق وفي السياسة وفي كل مجال<sup>1</sup>.

فتشبيه البرجماتية بالسلعة المطروحة في السوق أي الحق أو الخير أي قيمتها لا توجد في ذاتها بل الثمن الذي يدفع فيها فقد قام جيمس بتشبيه الحق بورقة نقدية تكون صالحة إلى أن يظهر عدم صلاحيتها وبالتالي لم يجد البرجماتيون أية مانع في النظر إلى الحق كما ينظرون إلى السلع الموجودة في الأسواق.

ويمكن توجيه سهام النقد لفلسفة جيمس الدينية في النقاط التالية

- بدأ جيمس آراءه الدينية بقوله إن الذي يكون صميم الدين ليس الطقوس ولا الفرائض ولا المعتقدات بل الذي يكون صميم الدين هو العاطفة والشعور الديني، بل إنه يخضع الإيمان بالله والاستدلال على وجود لذلك الشعور، وأن الأفكار اللاهوتية متى ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة المحسوسة فهي أفكار صحيحة.<sup>2</sup>

فقد جعل جيمس هنا أساس وصميم الدين هو الشعور والعاطفة الدينية وأن الإيمان من هذا المنطق متوقف على العاطفة وبالتالي الإنسان يؤمن من خلال حالته المزاجية الوجدانية.

<sup>1</sup>- توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية: نشأتها وتطورها، الإسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1959، ص 278.

<sup>2</sup>- منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، ص 316-317.

وهذا الرأي غير مقبول إطلاقاً، حيث إن الإيمان لا يتوقف فقط على العاطفة ذلك أن العاطفة والوجدان متقلبة دائماً، وبالتالي فمن هذا المنطق فإن الإنسان سوف يؤمن عندما يكون في حالة مزاجية عاطفية وجدانية، ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية، وقطعا الإيمان ليس كذلك، إنما هو صرح يقوم على أسس عقائدية يؤمن بها الإنسان ويلتزم بها ويسلم بها لأنها من عند الله عز وجل ولن تكون إلا في صالحه<sup>1</sup>.

فالإيمان إذا ليس أساسه الشعور والعاطفة فهو يقوم على ركائز عقائدية يلتزم بها الإنسان ويسلم بها ولها لأنها من عند الله تبارك وتعالى وما أرسل من عند الله فهو لصالح الإنسان. قال بن كثير: أخبر الله تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال: " قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون".<sup>2</sup>

سمعا وطاعة لهذا وضعهم تعالى بفلاح وهو نيل السلامة والمطلوب لهذا فالإيمان له أسس يسلم بها الإنسان لأنها تأتيه من عند الله تعالى ولا يجعل العاطفة والشعور يغلبه.

- يذهب جيمس إلى أن التجربة الدينية تتشارك الله تعالى في خلقها ومن الواضح أن جيمس يرجع بنا إلى الوراثة ويذكرنا بذلك الصراع الفكري الذي كان دائرا بين المذاهب الإسلامية كالمعتزلة والاشاعرة وأهل السلف والجهمية وغيرها حول مثل هذه الموضوعات، فضلا عن أن التجربة الدينية تجعلنا شركاء مع الله في عملية الخلق تتنافى مع الوجدانية التي رفضها الله تعالى على نفسه فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يولد ولم يكن له كفوا أحد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض ونقد، ص 317.

<sup>2</sup> - نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 120.

لهذا فبمجرد إخضاع الأوامر الإلهية والدين إلى التجربة للحكم عليها بصحتها أو عدمها فهذا يعتبر مشاركة لله في خلقه وهذا الامر كله يتنافى مع الله وحده لا شريك له فهو الله الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون.

- ترى البرجماتية بوجه عام وبرجماتية بيرس وجيمس بوجه خاص يشمل الإيمان بالعقائد الدينية وغيرها من المعتقدات وعنده أن الاعتقاد لا ينفصل عن الشك، ومن ثم فالإيمان على مذهب البرجماتي لا يفارقه الشك، ومن الخطأ في زعم جيمس التمسك الدائم بالمعتقدات فالإيمان الراسخ عنده يحجب عن الإنسان المعرفة الصحيحة وهذه مقولة يطرب لها الملاحدة والعلمانيين والمنافقين أينما تقفوا.

لذلك فإنه يلزم اختبار صحة العقائد من وقت لآخر واستبعاد ما يتضح للمرء عدم صحته منها أو عدم صلاحيته.<sup>1</sup>

يرى جيمس أن الإيمان يشمل العقائد الدينية ومختلف المعتقدات ومع ذلك فالاعتقاد عند جيمس لا ينفصل عن الشك ومن هنا الإيمان عند البرجماتيين يصاحبه الشك وانطلاقاً من هنا فيجب اختيار صحانية العقائد من فترة إلى أخرى واستبعاد ما هو غامض بالنسبة للمرء.

- إن معيار اختيار صحة العقائد عند جيمس ومن هذا حنوه هو إخضاعها لمحك التجربة، فهي التي تميز الحق من الباطل وليس حكم الله تعالى.<sup>2</sup>

- إن المسلم الحق لا يضع عقيدته موضع الشك، ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضع اختبار بل على العكس تماماً يؤمن بأن الله عز وجل هو الذي يختبر عباده " ونبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين " (البقرة 155)، والله تعالى هو الذي يبتلي العباد بالنعيم كما يبتليهم بالنقم " ونبلونكم بالشر والخير فتنة " فلقد خلق الله

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، ص 121.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 122.

الإنسان ليبنتليه ليرى هل يصبر أو يشكر قال صلى الله عليه وسل " عجا لأمر المؤمن ، فأمره كله خير وليس ذلك لأحدى إلا للمؤمن إن أصابه سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"<sup>1</sup> (رواه مسلم).

- لهذا فبمجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو الشك في صحته والدين لا يقبل مطلقا ونهائيا أي شك والمسلم الحقيقي المؤمن لا يضع عقيدته ولا يعرضها لأي شكل من أشكال الشك ولا يفكر في أن يضع إيمانه بالله سبحانه موضع اختيار بل على العكس يؤمن به ويؤمن بان الله يختبرنا.

ويتضح من خلال العرض السابق للبرجماتية في الوقت الحالي والانتقادات الموجهة لفلسفة البرجماتية فقد نال جهد بيرس وجيمس وديوي نجاحا في الولايات المتحدة وحتى الثقافة الأمريكية وبقيت أعمالهم تتال ترويجا وبقيت تدور في جمعيات سميت بأسمائهم فقد اعتمدت البرجماتية على التقرير والتفسير والاهتمام المتزايد بجيمس فقد ظهرت في كتابيه مبادئ علم النفس ومقالات في التجريبية الأصلية وأما بالنسبة للنقد حتى لو وجهت تلك السهام الناقدة لجيمس فحقه فيما قدمه لن نبخسه فلا توجد فلسفة بدون نقد ومناقشة فالفلسفة البرجماتية تشترك في مبدأ عام هو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه هذه الفكرة من نفع، أو على ما تؤديه عليه من نتائج عملية ناجحة وهذا الأمر لا نستطيع تطبيقه على الدين لا نعتبره نافعا فيما ينتجه نحن المسلمون لا نخط الدين مع المنفعة والشك والتجربة.

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 122.



خاتمة

خاتمة

## خاتمة

كان هذا البحث عن البرجماتية عند جيمس بحيث بدأته بتعريف لفظة البرجماتية وأنها تعني العمل وقد اشتقها تشارلز بيرس ليدل بجدة اللفظة على جده المذهب من ثمة تطور هذا المذهب على يد الفيلسوف ( وليم جيمس ) وأضاف إليه مبدأ النفعية، وقد قامت هذه النظرية على أسس ومبادئ أهمها التجربة والقطععية مع الماضي ورأينا كيف كان المذهب عند جيمس وما قدمه فيه من آراء ونظريات وأبرزها الحقيقة فقد كان طرح السؤال هو إلى أي مدى وفق جيمس في طرح آراءه حول البرجماتية وكجواب أقول انه وفق إلى حد ما فقد قدم مذهبه بطريقة متسلسلة إلا أنه تمادى في إخضاع الدين للتجربة وهذا الأمر الذي جعل الكثير ينتقده وفيه، وأيضا لا أنسى ما قدمته في البحث من تجريبية متطرفة وأخلاق ودين لدى جيمس، وقد تمت بحثي بالبرجماتية في الوقت الحالي ونقد ومناقشة المذهب من الجانبين الجانب الفلسفي والجانب الديني، فتبين لنا أنها من الناحية الفلسفية امتداد للفلسفة الرواقية مضافا إليها الروح النضالية الحديثة، أما من الناحية الدينية، فإنها مخالفة للإسلام من خلال إنكارها للقيم والحقائق المطلقة، وإخضاع الذين للتجربة للحكم عليه صدقا وكذبا، من خلال ما ينتجه من منافع ومكاسب.

وأتممت بأهم الانتقادات الموجهة لـ: وليم جيمس بوجه الخصوص في الجانبين الأخلاقي والديني.

وبعد أن بينت ذلك كله يمكنني أن أسجل واخرج ببعض النتائج التالية:

- لفظ البرجماتية لفظ دخيل بحيث أنه منحوت من اليونانية فقد كان الهدف من وضع المذهب البرجماتي أن يأتي بجديد فأتى بهذا اللفظ الجديد من لغة أخرى.
- البرجماتية فيها نبذ للماضي وعدم الالتفات والاعتداد به.
- المعرفة عملية تفاعل بين الإنسان وبيئته فالإنسان لا يقتصر على مجرد استقبال المعرفة بل إنه يصنعها والحقيقة فيما يخص الإنسان ليست مستقلة عن الأفكار التي تقترحها بقصد تفسيرها والحقيقة نسبية وقابلة للتغيير.

- أما وليام جيمس قد أضفى على معنى البرجماتية الطابع النفعي فالتعامل مع صدقية الأفكار من منطلق القيمة الفورية العملية ومقارنة النتائج العملية الناتجة عن نظرية ما واهتم بصدق الكلام.
- البرجماتية يوجد فيها استهتار صريح وواضح "بالدين" حيث تنظر له من خلال المنفعة التي تنتج عنه بعض النظر إلى مقاصد الشريعة.
- أوضح البحث مفهوم القيم لدى الفلسفة البرجماتية والتي وكزت على الجانب النفعي للقيم، واعتبرت الفلسفة البرجماتية القيم المادية هي الأصل في النفع .
- أساس التعامل بين الأفراد هو المصلحة بينهم وعليه فالبرجماتية لا تحمل في طياتها قيم إنسانية ولا يوجد فيها مجال لقيم.
- الحقائق عند البرجماتييين نسبية ومتغيرة بحسب الزمن لهذا لا توجد لديهم حقائق مطلقة.



قائمة المصادر

والمراجع

1- قائمة المصادر

- 1- وليم جيمس : إرادة الإعتقاد ، ترجمة محمود حب الله ، دار إحياء الكتب العربية ، 1996.
- 2- وليم جيمس : البرجماتية ، ترجمة : محمد علي العريان ، تقديم : زكي نجيب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2008.

2- قائمة المراجع

- 1- أ.م. بوشيسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: د. عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون بدولة الكويت.
- 2- إبراهيم مصطفى إبراهيم : نقد المذاهب المعاصرة ، دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر ، إسكندرية .
- 3- احمد فؤاد الهواني : نوابغ الفكر الغربي ، جون ديوي ، ط2 ، دار المعارف ، مصر دت ، 1968.
- 4- إمام عبد الفتاح : تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر : محمود سيد أحمد ، التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت -لبنان 2010.
- 5- إيميل بوترو: العلم و الدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة د.أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة العامة للكتاب، 1973.
- 6- تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرجماتية تر، د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، 2015.
- 7- توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها و تطورها، الإسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، 1959.
- 8- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.

- 9- حبيب الشاروني: محاضرات في الفلسفة المعاصرة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1978.
- 10- حسن محمد الكحلاني: فلسفة التقدم، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997.
- 11- صلاح قنصوة: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر، 1960.
- 12- عزمي إسلام: إتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
- 13- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، بيروت، 1993.
- 14- كامل محمد محمد عويضة: وليم جيمس رائد المذهب البرجماتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.
- 15- محمد عبد الحفيظ: الفلسفة و النزعة الإنسانية(الفكر البرجماتي نموذجاً)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006.
- 16- محمد عثمان نجائب: القرآن وعلم النفس، ط1، دار الشروق، 1421هـ.
- 17- محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1984.
- 18- منصور عبد العزيز الحجيلي: البرجماتية عرض نقد، الجمعية العلمية السعودية العلوم العقيدة الاديان و الفرق و المذاهب-مجلة الدراسات العقديّة-العدد الرابع.
- 19- نجيب محفوظ و أحمد أمين: قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1936.
- 20- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط5، مصر، 1919.
- 3- معاجم و قواميس**
- 1- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.
- 2- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية القاهرة، 1983.

4-المذكرات

- 1- رنابت عبد اللطيف شويعر ، سهام بنت سليمان العصيمي : الفلسفة البرجماتية ، أمانى عبد القادر ، كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميو ، الفصل الدراسي الأول 1437-1438هـ.

5-المواقع

- 1- سليمان بن صالح الخراشي ك نقد الفكر الغربي نقد البرجماتية [www.said.net](http://www.said.net)
- 2- مصطفى حلمي : الأخلاقي في الفلسفة العملية ، [www.alukah.net/sharia](http://www.alukah.net/sharia)



فہرس

	الموضوع
	الإهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
5	الفصل الأول: البرجماتية
6	المبحث الأول: مفهوم البرجماتية و أصولها
8	المبحث الثاني: السمات التي تجمع بين البرجمائين
10	المبحث الثالث: أنماط البرجماتية
10	أ- البرجماتية الإنسانية
10	ب- البرجماتية التجريبية
10	ج- البرجماتية الإسمية
10	د- البرجماتية بيولوجيا
11	المبحث الرابع: أسس و قواعد المذهب البرجماتي
11	1- التجربة العلمية
12	2- تتبع النتائج العلمية
13	3- القطيعة مع الماضي
14	4- الوعي الواقعي
15	المبحث الخامس: أهم أفكار البرجماتية
15	أ- نظرية الصدق البرجماتية
18	ب- مفهوم الخبرة البرجماتية

21	الفصل الثاني: فلسفة وليام جيمس ومجالات فكره البرجماتية
22	المبحث الأول: فلسفة وليام جيمس
24	أ-الإتجاه التجريبي
26	ب-الإتجاه الروحي
28	ج-الإتجاه العقلي أو المثالي الألماني
39	المبحث الثاني: الحقيقة عند جيمس
43	المبحث الثالث: التجريبية الأصيلة عند جيمس
47	المبحث الرابع: الدين عند جيمس
47	أ-طبيعة التجربة الدينية
48	ب-قيمة التجربة الدينية
50	1-للإنسان حق مشروع في أن يعتقد بأمر الدين
50	أ. الإيمان عنصر في الطبيعة البشرية
51	ب.الإيمان فرض نافع
52	ج.الإيمان يحقق نفسه بنفسه
59	المبحث الخامس: الأخلاق عند جيمس

65	الفصل الثالث: البرجماتية في الوقت الحالي و أهم الإنتقادات الموجهة للمذهب البرجماتي
66	المبحث الأول: البرجماتية في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر
68	المبحث الثاني: البرجماتية و الفلسفة الأوروبية المعاصرة
72	المبحث الثالث: نقد المذهب البرجماتي من المنظور الفلسفي
75	المبحث الرابع: نقد المذهب البرجماتي من المنظور الديني
80	المبحث الخامس: أهم الإنتقادات الموجهة لفلسفة جيمس البرجماتية
86	الخاتمة
89	قائمة المصادر و المراجع
92	فهرس الموضوعات